جامعة بجاية

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الدرس الصّوتي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وإبراهيم أنيس

دراسة مقارنة

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر(2) في اللّغة العربية وآدابها

تخصص: علوم اللّسان

إعداد الطالبتين:

زياني سوهيلة

زقان مريم

إشراف الأستاذ:

السّعيد خنيش

السنة الجامعية: 2015/2014

بسم الله الرحمان الرحيم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

" اقرأ باسم ربّك الّذي خلق (1) خلق الإنسان من علق (2) اقرأ وربّك الأكرم (3) الّذي علّم بالقلم (4) علّم الإنسان ما لم يعلم (5) "

سورة العلق.

شكر وتقدير

لكل عمل إعانة من الخالق عز وجل

لذا نحمد اللّه الّذي أنار عقولنا ويسر دربنا لنسير قدما،

ووفقنا على إتمام هذا العمل المتواضع.

ونشكر الأستاذ المحترم الّذي أشرف على مذكرتنا

الذي وجهنا، وأمدنا بالمعلومات،وحفّزنا لإتمام هذا البحث

الأستاذ المشرف «خنيش السعيد».

دون أن ننسى كل أساتذة قسم اللّغة العربية و ادابها بالشكر، خاصة الأستاذ "خيار نور الدين" الّذي وجهنا.

كما نشكر طاقم المكتبة الجامعية لتعاونهم معنا خلال فترة إنجاز البحث.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

_ إلى أعز الناس على قلبي وقرة عيني **أمي** الغالية

_ إليك من أحمل اسمه بكل افتخار **أبي**

إلى إخواني وأخواتي **صوفيان وزوجته سعاد ،دود،عبد الرزاق ،فارس ،كريمة ،يمينة و زوجها،منيرة و زوجها ،رزيقة**

إلى وجوه البراءة **:مولود ،مزيان ،أمال ،ملاك،آية ،صارة ،روزة.**

إلى كل صديقاتي **:أنيسة ،ديهية ،سوهيلة ،بتيترا ،آسية ،سليمة ،زينة ،سعاد ،دهبية ،صورية ،كاملية ،كهينة ،نسيمة .**

إلى كل من يعرفني من بعيد أو قريب

كل من ذكره القلب ونسيه القلم

مريم

إهداء

الحمد لله الّذي عليه نتوّكل، والصلاة والسلام على خير الأنام، أمّا بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

إلى الّذي أحمل اسمه بافتخار ، **أبي** العزيز، وإلى أعزّ إنسان في حياتي **أمي** الغالية.

إلى أخواتي الّذين ساندوني في كلّ صغيرة وكبيرة: **العياشي، لخضر، الجودي، بيلال، إليماس.**

إلى أختي رفيقة دربي الوحيدة **سيليه.**

إلى خطيبي **سيف الدين** الّذي تحمّل عبء هذا البحث.

إلى صديقاتي: **عائشة، نزيهة، مريم، كهينة، أنيسة، ديهية.**

إلى كلّ من يعرفني من بعيد أو قريب.

سهيلة

مقدمة

مقدمة

سبحان الّذي خلق الإنسان ورفعه عن المخلوقات وخصّه بالنّطق، وسبحان الّذي إليه نتوب ونستغفر والصّلاة والسّلام على أفصح من نطق بالعربية أمّا بعد:

ها نحن نطرح موضوعا من مواضيع الدراسة الصوتية للمعالجة والمقدم لنيل شهادة الماستر قسم اللّغة والأدب العربي تخصص علوم اللّسان فعنوان مذكرتنا بالتحديد الدّرس الصوتي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وإبراهيم أنيس . دراسة مقارنة . حيث تعتبر الدّراسة الصّوتية العربية من أهّم الدّراسات الّتي تعرض إليها العرب القدامى والمحدثين، فللخليل بن أحمد الفراهيدي فضل كبير في إرساء القواعد الصوتية العربية القديمة، وكذلك إبراهيم أنيس أحد وواد الدراسات الحديثة لذلك لجأنا إلى الاثنين من أجل المقارنة بينهما أو بتعبير أدق في كيفية تناولهما للدرس الصوتي، وهذا ما يقودنا لطرح الإشكالية التالية: هل تتفق هاتين المجموعتين أم تختلف في دراستهم للصوت؟ وإذا كان هناك اختلاف أو تشابه فأين يظهر ذلك؟ وما هي المفاهيم والمصطلحات التي اعتمد عليها القدامى وبالتحديد عند الخليل بن أحمد الفراهيدي أثناء تناوله للدرس الصوتي؟ وما هي المفاهيم والمصطلحات التي اعتمد عليها المحدثون وبالتحديد عند إبراهيم أنيس أثناء تناوله أيضا للدرس الصوتي؟

فكان القرآن الكريم أحد الدوافع لدراسة الظاهرة الصوتية خوفا من تسرب اللّحن إلى هذا الكتاب العظيم، فبرزت قائمة من اللّغويين والدّارسين منذ أزل بعيد إلى يومنا هذا، فكانت لغة القرآن سببا للبحث عن دلالة ومعاني الأصوات الّتي يحملها هذا القرآن.

فالقرآن الكريم منبع الدّراسة الصّوتية عند العرب، والخليل بن أحمد الفراهيدي أحد رواد هذه الدّراسة، حيث يعدّ مصدرا أصيلا من مصادر الدّرس الصّوتي، فمقدمة كتابه "العين" فاتحة الدّرس الصّوتي عند العرب، وقد أكدّ هذه الحقيقة الكثير من المعاصرين، لذلك اتّجهنا إليه باعتباره أقرب السبل لفهم هذه الظاهرة ولفهم القدامى أيضا، وهذا هو جزأنا الأول في البحث.

أمّا الجزء الثاني فكان على الدّراسة الصوتية عند المحدثين حيث تناولوا هذه القضية (الظاهرة الصّوتية) بمنظور حديث وباعتمادهم على الوسائل الحديثة الّتي تثري بحثهم ومن بين هؤلاء الّذين عالجوا هذه المسألة بوجهة حديثة نجد الدكتور إبراهيم أنيس رائد الدّراسات اللّغوية الحديثة، فكتاب "الأصوات اللّغوية" ثمرة جهوده اللّغوية.

وقع اختيارنا على الدّراسة الصّوتية بين هاذين الاثنين الخليل بن أحمد الفراهيدي وإبراهيم أنيس حتى نعقد مقارنة بينهما من حيث كيفية تناولهما الدّراسة الصوتية وتبيان أهم أوجه التشابه والاختلاف بينهما .

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج المقارن بمساعدة آليتي الوصف والتحليل، فالمقارنة من خلال إبراز أوجه الاختلاف والتشابه والتقارب والتضاد بين الدراسة الصّوتية العربية القديمة ممثلة في الخليل بن أحمد الفراهيدي والحديثة منها ممثلة في إبراهيم أنيس في مرجعيهما كتاب "العين" و"الأصوات اللّغوية"، واستخدمنا ضمن هذه المقارنة وصف لما برز في المرجعين من خضم تعرضهما للظّاهرة الصّوتية وكذا تحليل ما ورد في مضمون العرض.

لقد قسّمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين وكلّ فصل تتدرج تحته مباحث، فكان المدخل عبارة عن مصطلحات ومفاهيم تخصّ الدّراسة الصوتية بما فيها الصّوت، المقطع، علم الأصوات، الفونيم...الخ .

قسّمنا الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث أولّها اللّغة والظاهرة الصّوتية حيث لا يمكن لنا دراسة الصّوت دون أن نعر ف من أين أتى هذا الصّوت وهنا نبدأ باللّغة ومنشأها وخصائصها ووظائفها والمبحث الثّاني والثّالث هما صدارة بحثنا والثاني حول الدراسة الصوتية عند القدامى، الخليل بن أحمد الفراهيدي أنموذج .

أمّا الفصل الثاني يتكون من مبحثين، الأول حول المدونة المعتمدة في بحثنا وتعريفها ووصفها والمبحث الثاني وهو الجانب المهّم عندنا، بعقد المقارنة بين الخليل بن أحمد الفراهيدي وإبراهيم أنيس بالنّظر إلى تحديد مفهوم الصّوت والمقطع الصّوتي وصفات ومخارج الأصوات، ضف إلى ذلك تحديد الجهاز النّطقي وأعضاءه وتقسيم الأصوات والظواهر الصوتية المرافقة.

تكمن أهمية بحثنا هذا في الكشف عن أسرار الظّاهرة الصّوتية العربية عامة من خلال استعراض فحوى الطرح القديم الأول (الخليل بن أحمد الفراهيدي) والطرح الحديث (إبراهيم أنيس) الّتي طالما كان الاجتهاد قيّما مبنيا على روافد نظرية متنوعة في الدراسات اللغوية العربية القديمة و الحديثة.

في خضم إنجازنا لهذا البحث صادفتنا ثلّة من الصعوبات منها ما يرتبط بموضوع البحث في حدّ ذاته، ومنها ما يتعلق بمصادر ومراجع البحث وآليات الاشتغال عليه. فموضوع الدرس الصوتي العربي القديم و الحديث من المواضيع التي أثير حولها الجدل و ذلك لاعتبارات التشعب و تعدد

مباحث هذا الدرس ما صعب علينا إدراك كل شيء فيه من جهة و من جهة أخرى صعوبة إيفائه بالمعالجة و التناول. نضيف إلى هذا صعوبة الحصول على مصادر ومراجع تحيلنا إلى الدراسات اللغوية و الصوتية القديمة وذلك لافتقار مكتبتنا إلى هذا النوع من الدراسات القديمة.

مدخل

مدخل

تحتل الدّراسة الصّوتية مكانة هامة في المباحث اللّغوية، فتطرق إليها الباحثون في جوانب عدّة هادفين بذلك توضيح وتفسير هذه الدراسة معتمدين على مصطلحات مختلفة بناءا على أنّ لكل علم ومصطلحاته الخاصة، فبرزت ضمنه مجموعة من المصطلحات منها:

الصوت:

لغة: يعرّفه ابن منظور بقوله " الصّوت هو الجرس، معروف مذكر...، والجمع أصوات وقد يصوت صوتا وأصات وصوّت به. ويقال: صات يصوت صوتا فهو صائت معناه صائح "[1]. في هذا التعريف يكون الصّوت عند ابن منظور، النّداء والدّعوة والصّياح الّذي يقوم به الإنسان. ويعرّفه ابن فارس في قوله: "الصّاد والواو والتّاء أصل صحيح وهو الصّوت، وهو جنس لكلّ ما وقر في أذن السّامع، يقال: هذا الصّوت زيد، رجل صيتا إذا كان شديد الصوت والصّائت إذا صاح "[2]. نلتمس في تعريف ابن فارس دلالة واضحة على أنّ الصّوت ذا طابع سمعي، فهو ذلك الأثر السّمعي الناتج عن ذبذبة مستمرة قد تسمع خلال إصدار ضجّة أو اصطدام جسم بآخر. أمّا ابن جنّي فيحدد الصّوت فيقول: "إنّ الصّوت مصدر صات الشيء، يصوّت صوتا فهو صائت، وصوّت تصويتا فهو مصوّت... يقال سمعت صوت الرّجل، وصوت الحمار الصوت مذكر، لأنّه بمنزلة الضّرب والقتل، والغدر والفقر"[3].

اصطلاحا: يعرّفه ابن جنّي في مدخل كتابه – سرّ صناعة الإعراب – "اعلم أنّ الصوت يخرج مع النّفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أين عرض له حرفا وتختلف أجراس الصوت بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطّنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنّك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أيّ المقاطع شئت فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت منه راجعا أو متجاوزا له، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصّدى

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر، المجلد 2، بيروت، ص 53 .

[2]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة والأعلام ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، ج3، بيروت ، د ت ، ص 318.

[3]– ابن جنّي، ابو الفتح عثمان ، سر صناعة الإعراب ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1954، ص 11.

الأول".[1] نلحظ في تعريف ابن جنّي أنّ الهواء شرط ضروري لإنتاج الصّوت وكذلك نلاحظ أنّه لم يستخدم مصطلح الصّوت بل مصطلح الحرف وذلك لأنّ ابن جنّي يساوي بينهما أي أنّ الحرف والصّوت عنده في مقام واحد.

لا يختلف مفهوم الصّوت لدى ابن جني عن الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث يعرفه هذا الأخير لغويا: على أنّه ما يقوم بغير من المعاني الحسّية كالبياض والزرقة، والمعنوية كالعلم والجهل والفرح والصبر. أمّا اصطلاحا فهو صوت اعتمد على مخرج محقق أو مقدر، ويعني في مصطلح الخليل ما نعنيه في استعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر[2]، ويروى عنه أنّه قال: " فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فأنظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحدا في الكتاب المقدم فهو ذلك الكتاب "[3]. ويعرفه ابن سينا بأنّه " نموذج الهواء ودفعه بقوة وسرعة بأيّ سبب كان "[4].

أمّا من منظور البحث اللّغوي الحديث فيعرفه محمد علي الخولي في كتابه معجم علم الأصوات بأنّه " صوت لغوي أحدثه المتكلم أثناء كلام فعلي، والصّوت إذا حدث يكون فريدا، إذ لا يحدث صوت مطابق له مرّة ثانية لا من المتكلم ذاته ولا من سواه فهو ألوفون يتبع فونيما ما في لغة المتكلم "[5].

المقطع الصّوتي:

عند تقطيع كلمة في اللّغة العربية فإننا غالبا ما نجزئها إلى مقاطع فكلمة "كتب" ننطقها أثناء التّهجية / ك../ , / ت../ , / ب../ وكلمة مكتب ننطقها / م..ك / , / ت..ب / .

وجد اللّغويون أنّ الإنسان يجزئ الكلمات إلى مقاطع تتكون من فونيمات، أصوات، صوائت. وقد تكون هذه المقاطع معقدة ومتعددة الأشكال وقد تكون بسيطة التشكيل والتركيب،إلاّ أنّ جميع المقاطع تحتوي على الأقل صائت واحد وقد تحتوي على صامت أو أكثر وقد لا تحتوي على أيّ صامت.

---

[1]– ابن جني، ص 12.

[2]– الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ج1–تح ،د مهدي المخزومي و ابراهيم السّامرائي ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت ، لبنان 175ه ص11.

[3]– المرجع نفسه ، ص 11.

[4]– محمد علي عبد الكريم الرديفي، فصول في علم اللّغة العام ، عالم الكتب للنّشر ، بيروت ، لبنان، ط1،2002، ص 152،153.

[5]– محمد علي الخولي ، معجم علم الأصوات ، مطبعة الفرزدق التجارية ، ط1 ، 1982 ، ص 93.

والمقطع هو تسلسل الوحدات الصوتية تتكون من صامت وصائت حيث لا توجد كلمة في اللّغة العربية تخلو من مقطع أو تزيد عن ثلاثة مقاطع، وهناك خمسة أشكال للمقاطع :

صامت + صائت قصير.

صامت + صائت طويل .

صامت + صائت قصير + صامت .

صامت + صائت طويل + صامت .

صامت + صائت قصير + صامت [1].

المقاطع الصوتية نوعان متحرك وساكن، والمقطع المتحرك ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أمّا المقطع الساكن فهو الّذي ينتهي بصوت ساكن، ويعرّفه أحمد قدّور كالأتي: "يمثل المقطع درجة أعلى من الفونيم في سلم الوحدات الصوتية الفونولوجية، لأنّ المقطع مكوّن من فونيمات مرتبة ترتيبا معينا حسب كلّ لغة والمقطع من هذه الوجهة شكل من أشكال تجمع الفونيمات وتوزعها في الكلام بين الصامت والصائت"[2].

يرى أحمد مختار عمر أنّ المقطع هو الوحدة الصغرى لأنّه يرفض تقسيم الكّم المتّصل إلى أصوات، لأنّ الأصوات في رأيه ليس لها وجود مستقل في الكلام.[3] في حين عبرت عنه خوله طالب الإبراهيمي بكونه التسلسل الحاصل في الوحدات اللّغوية [4]. كما ورد المقطع في معجم علم الأصوات بأنّه وحدة صوتية تتكون من عدّة أصوات، ولكن يمكن أن تكون من صوت واحد شرط أن يكون صائتا، ولكلّ

[1]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ، نهضة مصر ، د ط ، ص 164.

[2]– أحمد محمد قدّور ، مبادئ في اللّسانيات ، ، دار الفكر المعاصر ، دمشق 1996، ط1 ، ص109.

[3]– أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، ص 101.

[4]– خوله طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، ط2 ، 2006، ص62.

مقطع نواة تأخذ النبرة المناسبة، وقد يكون المقطع كلمة مثل (قف) أو جزءا من كلمة تتكون من مقطعين أو أكثر مثل (اجلس). وللمقطع في كلّ لغة نظام خاص يحكم عدد وترتيب الصوامت والصوائت[1].

الفونيم:

"أسرة من الأصوات المتشابهة تكون في توزيع تكاملي أو تغيّر حرّ"[2]، وهناك نوعان من الفونيمات:

أ– الفونيمات التركيبية: والّتي تتمثل في الصوامت والحركات الّتي تمثل العناصر المكوّنة للتّركيب الصّوتي للّغة.

ب– الفونيمات غير التركيبية: وهي تلك الظواهر الصّوتية الّتي تنتمي إلى التركيب كلّه وتمتد خلاله كالنبر والتنغيم.[3]

يعرّفه كمال بشر أنّه ذلك الجانب غير المادي للصّوت أو الصورة الذّهنية له، وهو جانب وظيفته التّفريق بين معاني الكلمات[4]. أطلق مصطلح الفونيم في أصل استعماله على الصّوت بمعناه المطلق وبمرور الزمن وتطور الفكر الصّوتي قصد استخدامه للإشارة إلى صوت معين من حيث قيمته ووظيفته في لغة معينة وينعته بعضهم بالوحدة الصّوتية كالباء، التّاء، الثّاء،...الخ. وذلك بقطع النظر عمّا يحدث لكلّ منها من تغيرات نطقية في السّياق[5].

[1]– محمد علي الخولي ، معجم علم الأصوات ، ص 160.

[2]– المرجع نفسه ، ص 126.

[3]– أحمد محمّد قدّور ، مبادئ اللّسانيات ، ص 151.

[4]– كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 70.

[5]– كمال بشر، علم الأصوات، ص 19 ، 20 .

الأصوات الصامتة:

تحوي اللّغة العربية ثمان وعشرون صوتا صامتا إلى جانب ثلاث حركات قصيرة وثلاث حركات طويلة هي (الفتحة والألف) و (الضّمة والواو) و (الكسرة والياء) ويكون مجموع الأصوات الأساسية فيها أربعة وثلاثون صوتا[1].

يشير كمال بشر إلى أنّ الأصوات الصامتة تنقسم في العربية من حيث كيفية مرور الهواء عند النّطق بها إلى المجموعات الآتية[2]:

أ- **الوقفات الانفجارية:** وهي الهمزة، القاف، الكاف، الدّال، الضاد، التّاء، الطاء، الباء.

ب- **الأصوات الاحتكاكية:** وهي الهاء،العين، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، السين، الزاي، الظاء، الذال، الثاء، الفاء.

ج- **الوقفات الاحتكاكية:** الجيم .

د- **أصوات التكرار:** الرّاء.

هـ - **الأصوات الجانبية:** اللاّم.

و- **الأصوات الأنفية:** الميم، النون.

ي- **أنصاف الحركات:** الواو، الياء.

كلّ صوت أثناء النّطق به حدث اعتراض كامل في مجرى الهواء هو صوت صامت، وكل صوت أثناء النّطق به حدث اعتراض جزئي محدثا احتكاكا من أيّ نوع كان هو صوت صامت، وكل صوت لا يمرّ الهواء خلال النّطق به من الفمّ مجهورا كان أو مهموسا فهو صوت صامت مثل م/ن، كلّ

[1]- رمضان عبد الله ، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 45.

[2]- كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 214،213.

صوت ينحرف هواءه فيخرج من جانبي الفمّ هو صوت صامت مثل اللاّم، كلّ صوت مجهور أو مهموس هو صوت صامت.

الأصوات الصائتة:

تمتاز هذه الأصوات بصفة عامة بدرجة عالية من الوضوح السّمعي أكثر منها في الصوامت كما أنّ الصوائت تتفاوت ضيقا واتساعا، فالصوائت المتّسعة كالفتحة أوضح في السمع من الضمة والكسرة[1]. وللصوائت نصيب من النّظر والدرس عند علماء العربية، وإن لم يمنحوها اهتماما يعدل أهميتها ووظيفتها في البناء اللّغوي، وخاصة فيما يتعلق بالحركات القصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة) ولكنّا مع ذلك، لا ننفي معرفتهم بها وإدراكهم بحقيقتها وخواصها نطقا ووظيفة[2].

المجهور:

هي الأصوات الّتي تهتزّ معها الأوتار الصوتية وتتذبذب. والأصوات المجهورة ثلاثة عشر صوتا: الباء، الجيم، الدال، الذال، الرّاء، الزّاي، الضاد، الظاء، العين، الغين، اللام، الميم، النون، ويضاف إليها الصوائت كلّها[3].

المهموس:

هي الأصوات التي يهتزّ معها الوتران الصوتيان ولا يسمح لهما ونبين عند النّطق بها، وهذه الأصوات هي اثني عشر صوتا: التاء، الثاء، الحاء، الخاء، السين، الشين، الصاد، الطاء، الفاء، القاف، الكاف، الهاء[4].

وللنّطق بالأصوات المهموسة يتطلب قوّة وجهدا عضويا من حيث إخراج النفس أكثر مما تتطلبه الأصوات المجهورة. وإنّ الهمس في الكلام هو خفاؤه، فلا يكاد يسمع[1]، كما في قوله تعالى "وخشعت

---

[1]– رمضان عبد الله ، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 46.

[2]– كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 220.

[3]– رمضان عبد الله ، أصوات العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 47.

[4]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ، ص 20.

الأصوات للرّحمان فلا تسمع إلاّ همسا". كما جاء تعريف المهموس في معجم علم الأصوات بأنّه صفة لصوت تنفتح معه فتحة المزمار ولا تتلاقى عند نطقه الحبال الصوتية[2].

المخرج:

أطلق الخليل بن أحمد الفراهيدي مصطلح المخرج محددا إياه بكونه المنطقة الّتي يولد منها الصّوت اللغوي[3]. والمخرج لغة: هو المجرى، أمّا اصطلاحا هو مكان حدوث الصوت داخل الجهاز الصوتي، أي المكان أو الوضع الّذي يتمّ فيه الاعتراض لتيار الهواء، إذ هو المكان الّذي يخرج منه الصّوت في الآلة الصوتية[4]. ويرى رمضان عبد الله أنّه موضع النّطق الّذي يخرج منه الصوت[5].

الحبال الصّوتية:

هما الرابطان اللّذان يمتدان على طرفي الحنجرة، ويقعان تحت الوترين الكاذبين ويلتقي الوتران الصحيحان عند تفاحة آدم[6]. يشّبهها كمال بشر بأنّها أشبه شيء بشفتين يمتدان أفقيا بالحنجرة من الخلف إلى الأمام ويلتقيان عند ذلك البروز المسمى تفاحة آدم[7].

الجرس الصوتي:

الجرس الصوتي لدى الخليل يحمل معنى الصوت، فيقول: "الجرس، الصوت نفسه وجرست الكلام، تكلمت به، وجرس الحرف نغمة الصوت والحروف الثلاثة الجوف، لا أصوات لها ولا جرس وهي الواو، الياء، الألف، وسائر الحروف مجروسة[8].

---

[1]– كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 165.

[2]– محمد علي الخولي ، معجم علم الأصوات ، ص164.

[3]– علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب، النّشأة والتطور، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2006، ص 21.

[4]– ينظر أبو عبد الرحمان جمال إبراهيم ، دراسة علم التجويد ، دار ابن الجوزي، ط1 ، 1425هـ ،ص 173

[5]– رمضان عبد الله ، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 46.

[6]– أحمد محمد قدّور ، مبادئ اللّسانيات ، ص52.

[7]– كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 135.

[8]– الخليل ، العين ، ج6 ، ص 289.

اضطرابات النّطق:

تحدث اضطرابات النّطق لدى الأفراد نتيجة خلل في أعضاء جهاز النّطق مثل شقّ الحلق، كما قد تحدث لبعض الكبار نتيجة إصابة في الجهاز العصبي المركزي، فربما يؤدي ذلك إلى إنتاج الكلام بصعوبة أو بعناء مع تداخل الأصوات، وعدم وضوحها عسر الكلام ومثال على ذلك اللجلجة الّتي تعدّ من أكثر اضطرابات النّطق والكلام انتشارا بين النّاس، فهي عيب من عيوب الكلام وهي اضطراب في إيقاع الكلام وطلاقته مما يؤثر على انسياب الكلام، يتضمن التكرارات الإرادية للأصوات أو الحروف أو الكلمات أو إطالتها أو التوقف اللاإرادي أثناء الكلام ويصاحب ذلك حركات لاإرادية للرأس والأطراف[1].

الجهاز النّطقي:

هو الجهاز الّذي يوّلد الصّوت في الإنسان ويدعى كذالك بالجهاز الصوتي ويتكون من الأعضاء الدقيقة الواقعة بين الرقيقتين الصوتيتين وبين فتحتي الأنف والشفتين من الجهة الأخرى، ومن الجهاز الصوتي تخرج جميع الأصوات اللّغوية. ونجده في معجم علم الأصوات " بأنّه الجهاز البشري الّذي يشترك في نطق الكلام، ويشمل التجويف الحلقي، والتجويف الفموي، والتجويف الأنفي، وأعضاء أخرى مثل القصبة الهوائية والحنجرة والحبال الصوتية والأسنان واللّثة والشفتين والحنك الصلب والحنك اللّين واللّهاة "[2]. وأول من تعرض لجهاز النّطق هو ابن جنّي فشبّهه بالنّاي وبوتر العود ليقدم صورة واضحة عن العملية الطّبيعية لإنتاج الكلام، فجهاز النّطق بأعضائه وبنيته الأساسية واحد عند الإنسان السوي ولا يختلف من فرد إلى فرد، ولا من قوم إلى قوم إلاّ في تفعيله وطرائق توظيفه ووفقا للعادة والبيئة اللّغوية المعينة [3].

---

[1]– فيصل محمد خير الزرّاد ، اللّغة واضطراب النطق والكلام ،دار المرّيخ ، الرياض ، 1990م ،ص 214 ، 215.

[2]– محمد علي الخولي ، معجم علم الأصوات ، ص 56.

[3]– كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 133.

الفصل الأول:

الجانب النّظري

المبحث الأول:

اللّغة والظاهرة الصوتية

1. نشأة اللغة:

لقد اختلفت أراء المفكرين والعلماء في موضوع نشأة اللّغة حيث أنّهم لم يصلوا في بحوثهم إلى نتائج يقينية تقرّ حقيقية منشأ هذه المسمّاة (اللّغة)، فكانت معظم وأغلب نتائجهم مرتبطة بآرائهم الشخصية وفرضياتهم المبنية أساسا على الحدس[1]. وعلى الرغم من هذا الاختلاف في قضية نشأة اللّغة، إلاّ أنّ هناك بعض العلماء من حاول إعطاء الصبغة العلمية لهذه القضية الّتي بات يسخر منها علماء اللّغة بمجرد الّتفكير في أنّ موضوع نشأة اللّغة يندرج ضمن قضايا علم اللّغة، فحاولوا تفسير نشأة اللّغة الإنسانية استنادا إلى بعض النظريات والمذاهب:

مذهب الوحي و الإلهام: ويقرّ هذا المذهب أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان والأشياء ودلّ آدم عليه السلام بوضع الأسماء فوضعها، وأمّا الأدلة الّتي استدلّ بها أصحاب هذا المذهب نجد الكتب المقدسة، وعلماء العرب بالتحديد يستندون بقوله تعالى: "وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة"(سورة البقرة). ويفسّرها ابن عباس بقوله: "علّمه الأسماء كلّها، وهي هذه الأسماء الّتي يتعارفها النّاس من دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها[2]. أمّا ابن جنّي فقد تصدى لشرحه والرّد عليه، فقال: "وذلك أنّه يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها"[3].

مذهب المواضعة والاصطلاح: هذا المذهب ذكره ابن جنّي، فقال: "إنّ أصل اللّغة لابد فيه من المواضعة، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة، ولفظا يدل عليه ويغني عن إحضاره أمام البصر، وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا على شخص، ويؤمنوا إليه

[1]– رمضان عبد التّواب ، مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي ، مكتبة الخانجي ، ط2، القاهرة ،1980 ، ص109.

[2]– رمضان عبد التّواب ، مدخل إلى علم اللّغة ، ص110.

[3]– ابن جنّي، الخصائص، ص 40.

قائلين: إنسان فتصبح هذه الكلمة اسما له، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أو قدمه، أشاروا إلى العضو وقالوا: يد، عين، رأس، قدم...الخ. ويسيرون على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء وفي الأفكار والحروف وفي المعاني الكلية والأمور المعنوية نفسها، وبذلك تنشأ اللّغة العربية مثلا[1]. ولم يضف أصحاب هذا المذهب أي شيء في الحقيقة، فهي نتائج تقترب من الافتراضات الشخصية استنادا على الحدس.

مذهب المحاكاة: يخلص هذا المذهب إلى أنّ الإنسان سمى الأشياء بأسمائها هذه لأنّها مقتبسة من الأصوات المحاكية، وبتعبير آخر أنّ أصوات الكلمة ما هي إلاّ تقليد مباشر لأصوات الطبيعة الصادرة سواء من الإنسان أو الحيوان أو الأشياء الموجودة في الطبيعة فكانت نظرة ابن جني إلى هذا المذهب حسنة حيث قال: "وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللّغات كلها، إنّما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس...الخ، ثم ولدت اللّغات عن ذلك فيما بعد"[2]. أمّا من علماء الغرب نجد العالم الألماني "هردر" في كتابه " بحوث في نشأة اللّغة" الّذي أيّد هذا المذهب بحيث يرى أنّ اشتراك بعض الأصوات الّتي تحاكي الطّبيعة في عدّة لغات راجع إلى هذه النظرية الّتي تقّر بمحاكاة الأصوات، فإنّ الكلمة الّتي تدل على الهمس هي في العربية "همس"، وفي الألمانية "فلوستيرن"، وفي العبرية "صفصف"، وفي الحبشة "فاصى"، وفي التركية "سوسمك" فالعامل المشترك بين هذه اللّغات جميعها في هذه الكلمات هو صوت الصفير: السين أو الصاد، وهو الصوت المميّز لعملية الهمس في الطّبيعة[3].

على الرغم من اشتراك اللّغات في الكلمات المحاكية للطّبيعية نادرة، ويرى بعض العلماء بناءا على هذه النظرية أنّ مناسبة اللّفظ للمعنى مناسبة حتمية، بمعنى أنّ اللّفظ يدل على معناه دلالة وجوب لا

[1]– ابن جنّي ،كتاب الخصائص ،ص 49.

[2]– المرجع نفسه ، ص47.

[3]– رمضان عبد التّواب ،مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي ،ص 113 .

انفكاك فيها. ويمتاز مذهب المحاكاة أنّه يشرح لنا مدى تأثّر الإنسان في النّطق بالألفاظ نسبة إلى البيئة التي تحيط به، وخروجا عن هذا الإحساس إلى محاكاة الأصوات لندخل عالم التعبير والتواصل ولربما يكون أهمّ سبب أو دافع إلى نشأة اللّغة الإنسانية وهذا ما أدّى بالإنسان الأوّل إلى التّلفظ والنّطق وإطلاق الأسماء على الأشياء من أجل التفاهم والتواصل[1].

مذهب التنفيس عن النفس: ومعناه أنّ الألفاظ مرّت بمرحلة العدول عبر الزمن بعدما كانت أصوات ساذجة تلقائية ألقاها الإنسان الأوّل أو البدائي من أجل التعبير عن ألمه وسروره، ويشرح "قندريس" بقوله: "بدأت اللّغة بصفة انفعالية محضة"، ولعّلها كانت في الأصل مجرد غناء ينظّم بوزنه حركة المشي أو العمل اليدوي أو صيحة كصيحة الحيوان تعبر عن الألم أو الفرح ولعلّ هذا الإنسان ما وجد حيلة ليتواصل مع غيره من الإنسان إلاّ هذه[2].

هذه النظرية لا تختلف عن النظريات السابقة إذ هي عبارة عن فرضيات تُرجع نشأة اللّغة الإنسانية إلى تلك الحاجة على التعبير عمّا في الوجدان الإنساني، فهي نظرية ناقصة كغيرها لأنّها لا تبيّن منشأ الكلمات الكثيرة كما أنّها غامضة أيضا في أنّ تلك الألفاظ الساذجة الانفعالية تحوّلت إلى ألفاظ قطعية عبر الزمن فكيف ذلك لا ندري؟ ويبقى السؤال مطروح .

بيد أنّ هناك مذاهب أخرى مختلفة المبدأ لكنّها تصّب في نتيجة واحدة بيّنت بصفة يقينية نشأة هذه اللّغة و كلّها تحسب في نطاق فلسفي تخرج الباحث عن نطاق الحقائق العلمية.

يرى الدكتور مها محمد فوزي معاذ في كتابه "الأنثروبولوجيا اللّغوية" أنّ الإنسان باتّساع إدراكه احتاج إلى التعاون والاتصال فاحتاج إلى اللّغة، ولا ريب في اتّساع المدارك كان يتدرج بتدرج النّمو فيها،

[1]– رمضان عبد الله ، مدخل إلى علم اللّغة ،ص114.

[2]– رمضان عبد الله ، مدخل إلى علم اللغة،ص 116.

فيكون احتياج اللّغة بطريق التدرج أيضا، وبعد أن كان التّفاهم بالإشارات ثم بالمقاطع الصوتية القليلة أصبح بمقاطع أكثر لحاجات، وهكذا إلى أن نمت اللّغة بنمو الإدراك وتكاثر الحاجة.[1]

يروي كتاب أعلام "الفكر اللّغوي" أنّ قصّة الإنجيل لا تدع مجالا للشّك في أنّ اللّغة من أصل إنساني وقد بدأت مع الإنسان الأوّل آدم عليه السلام، فليس هناك شك أنّ آدم أطلق الأسماء على الحيوانات بشكل دقيق، فالله أوحى له بالأسماء ثمّ أطلقها على الأشياء وهكذا حتى أصبح لكل شيء في الكون اسما خاصا به[2]. أمّا عن الدكتور أبو السيعود في كتابه "البحث اللغوي عند إخوان الصفاء" يرى أنّ الله تعالى هو ٱلذي ألّم اللّغة ولقّنه إيّاها، ومصدرهم في قوله تعالى: "وعلّم آدم الأسماء كلها"، حيث يدل ظاهر الآية على أنّ اللّغة هبة من الله تعالى[3]. فلم يميّز القدماء بين اللّغة باعتبارها ظاهرة كلامية وبين الكتابة باعتبارها نظاما لتسجيل هذا الكلام المنطوق، فالمصريون القدماء اعتقدوا أنّ الإله (روس) هو أصل الكلام والكتابة، أمّا اليابانيون فقد اعتقدوا أنّ الإله (نابو) هو أصل اللّغة أمّا الصينيون القدماء فقد اعتقدوا أنّ السّماء أرسلت ماءا و سبحت فيها الّتماسيح وفي ظهرها علامات الكتابة، وأمّا الهنود القدماء اعتقدوا أيضا أن الإله "براهما" منحهم القدرة على الكلام والكتابة [4].

مهما يكن من آراء مختلفة ومبهمة حول حقيقة نشأة اللّغة الإنسانية إلاّ أنّها تبقى تلك الّتي لا تظهر إلاّ بوجود الإنسان بحيث ترتبط به ارتباطا وثيقا به دون انفصال.

---

[1]– مها فوزي معاذ ، الأنثروبولوجية اللّغوية ، ص 59.

[2]– روي هاريس وتولبت جي تيلر ،تعريب أحمد شاكر الكلابي ، أعلام الفكر اللّغوي ، دار الكتاب الجديد ، ص70.

[3]– أبو السيعود أحمد الفخلاني ،البحث اللّغوي عند الإخوان الصفاء ، ط1 ،ص 120.

[4]– صلاح الدين صالح حسنين ، دراسات في علم اللّغة الوصفي والتاريخي المقارن، دار العلوم ،1984،ص 46 .

1 . 1 مفهوم اللغة.

يطلق لفظ "لغة" على تلك الأصوات الّتي ينتجها جهاز النّطق في الإنسان معبرا بها عما يحسّ به من حاجات يريد بيانها والإيضاح عنها[1]. واللّغة بهذا المعنى هي من خصائص الإنسان وحده رغم وجود لغات أخرى يتفاهم بها كلّ من الحشر والطير فيما بينهم إلاّ أنّ اللّغة الإنسانية خاصة به وحده دون سائر المخلوقات.

يعّرفها ابن جنّي: "حد اللّغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم بحيث يؤكد ابن جنّي في تعريفه هذا أنّ اللّغة ظاهرة صوتية، وأنّ لها وظيفة اجتماعية، هي أنّها تربط بين أفراد المجتمع، وأنّ لكلّ مجتمع لغته الخاصة. كما تطرق إخوان الصفاء إلى موضوع اللّغة ومفهومها ويقول "أبو السيعود الفخلاني" أنّهم يرون أنّها المنطق، مشتّق من نطق ينطق نطقا، والنّطق فعل من أفعال النّفس الإنسانية وهذا الفعل نوعان فكري ولفظي، فالنّطق اللّفظي هو أمر جسماني محسوس، والنّطق الفكري أمر روحاني معقول، وذلك أن النّطق اللّفظي إنّما هو أصوات مسموعة لها هجاء، وهي تظهر من اللّسان الّذي هو عضو من الجسد، وتمر إلى السّامع من الأذان التي هي أعضاء من أجساد آخر، والنّظر في هذا المنطق والبحث عنه والكلام على كيفية تصريفه، وما يدل عليه من المعاني يسمى علم المنطق اللغوي[2]. فاللّغة من هذه الزاوية الّتي تطرق إليها إخوان الصفاء تعبير ومعبر عنه، وهذا ما قاله ابن جنّي في تعريفه لّلغة. ولا يختلف هذا التّصور كذلك عن تصوّر الغربيين من العلماء في تعريفهم للّغة، فالبريطاني "هنري سويت" يعرّف اللّغة بأنّها "التعبير عن الأفكار بوساطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات[3]".

---

[1]– عبد الصبور شاهين، في علم اللّغة العام ، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنشر ،1984 ، ص 28 .

[2]– أبو السيعود أحمد الفخلاني، البحث اللّغوي عند الإخوان الصفاء ، ص 23 .

[3]– ابو السيعود أحمد الفخلاني الدرس اللغوي عند إخوان الصفا ص 39.

والأمريكي "ادوارد سابير" يعرّف اللّغة بأنّها "وسيلة إنسانية خالصة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز الّتي تصدر بطريقة إرادية.

يرى دي سوسير أنّ اللّغة نظام ذهني يتم بموجبه ربط العناصر اللّغوية سواء على المستوى الفونولوجي أو الصرفي أو النحوي، ويرى أنّ هذا النّظام هو الّذي يحدد القيمة الوظيفية للكلمات وإن كان النّظام وحده الّذي يقوم بذلك وإنّما يضاف إليه التخالف أيضا بدليل أنّنا إذا سمعنا لغة أجنبية لم نعرفها من قبل سنجد أنّه من الصعب علينا تمييز الكلمات في داخل الجملة أو تمييز الجملة في داخل الفقرة، سنرى الّذي سمعناه ليس سوى أصوات غير مختلفة ولا معنى لها. فيوضح لنا أن اللغة نظام يؤدي إلى ربط العناصر المختلفة على المستويين الفونولوجي والنحوي[1].

تناولت "مدرسة علم الاجتماعي الفرنسي" موضوع اللّغة من زاوية مغايرة، وأشهر علماءها "رولان بارت" فهذه المدرسة تنظر إلى اللّغة على أنّه نظام أو نسق اجتماعي وثقافي لا يرتبط بوجود الفرد بل أنّ الفرد هو الّذي يدخل إلى هذا النسق منذ الولادة فيتربى فيه وبذلك تعتبر اللّغة أهمّ عنصر في عملية التنشئة الاجتماعية كما أنّها توصف في العادة بأنّها (لا شخصية) لأنّها تعلو وترتفع وتسمو علينا، وتتجاوزنا كأفراد، فكان "رولان بارت" حريصا على تأكيد عدم تملّكنا الحقّ في أن نزعم أنّ لغتنا هي ملك لنا، لأنّ اللّغة نسق ينبغي أن نتنازل له عن جانب كبير من فرديتنا إذا أردنا أن ندخل فيه[2].

وعلى غرار ما سبق يمكننا استنتاج أنّ كل التّعريفات تتفق حول مغزى واحد وهو أنّ اللّغة أداة للتّعبير عن ما في داخل الإنسان، كما أنّها وسيلة اتّصال وتعاون بين المجتمع البشري بحيث تتكون من أصوات مختلفة فهي ليست بمجرد أصوات كما يصفها البعض وبل أكثر من أصوات مجردة فهي مجموعة من القواعد تكوّن أصوات ذات معاني مختلفة. وبذلك يمكننا أن نصوغ مفهوما عاما لّلغة ونقول

[1]– صلاح الدين صالح حسنين ، دراسات في علم اللّغة الوصفي والتاريخي المقارن ، ص38.

[2]– صلاح الدين صالح حسنين ، دراسات في علم اللّغة الوصفي والتاريخي المقارن 25.

أّنها أداة التعبير عن الأفكار كما أنّها وسيلة اتصال بين بني البشر، ذات رموز وكلمات وعبارات مكتسبة عن طريق نشأة الفرد في المجتمع. وهذا لا يعني أننا ننفي الأقوال والنظريات الأخرى وإنّما لكلّ واحدة منها منطلقها الخاص.

2. 1 وظائف اللغة:

لّلغة وظائف هامة في المجتمع ومن أهمّ هذه الوظائف نجد وظيفتان هما:

أولا_ وسيلة اتصال بين أفراد الجماعة اللّغوية الواحدة ولإيضاح معنى هذا الاصطلاح، نفترض أنّ لدينا متكلما نرمز له بالحرف (أ) وسامعا نرمز له بالحرف (ب)، وأنّ (أ) يريد أن يقول لـ (ب) شيئا ما وأنّ (ب) سيفهمه، وهنا حدثت عملية اتّصالية عن طريق اللّغة وتتكون من الخطوات التالية:

_ اختيار الدلالات: سيكون عند (أ) معنى ما ويرغب في نقله إلى (ب) وأوّل خطوة يقوم بها هي تحديد الدّلالات الّتي تعبر عن المعاني الّتي يريد التعبير عنها، وهذا يشبه عملية تحرير الرسالة فالكاتب يحدد أوّلا الدّلالات الّتي يرغب في التعبير عنها.

_ اختيار الأنماط النحوية: وبعد أن يحدد المتكلّم الوحدات الدّلالية الملائمة لرسالته يقوم بتنظيمها بالطريقة الّتي يتطلبها النّظام النحوي في لغته[1].

فاللّغة العربية تستخدم ثلاثة طرق لتنظيم الدلالات في قالب نحوي هي:

– الموقع أو الرتبة: وهنا تظهر رتبة الفاعل عن المفعول به و المنعوت قبل النعت.

– العلامة الإعرابية: فلإعراب يدّل على المعاني المقصودة.

[1]– صلاح الدين حسنين ، دراسات في علم اللّغة الوصفي والتاريخي المقارن ، ص 39.

– التطابق: ويشمل التطابق في العدد والجنس وفي التعريف أو التنكير، والوحدات الأساسية المستخدمة في تحويل الدلالات إلى علامات نحوية تسمى الوحدات الصرفية (المورفيم)، والوحدة الصرفية قد تكون كلمة وهذه بدورها تنقسم إلى فعل واسم وضمير وصفة وظرف وأداة وحرف ولكلّ وحدة منها وظيفية نحوية خاصة، وقد تكون جزءا من كلمة: مثل الواو والنون، أو الياء والنون: الدّالة على جمع المذكر السالم أو الألف والتّاء الدّالة على جمع المؤنث السالم.

و تقسّم الوحدات الصرفية الّتي تعبر عن الوحدات النحوية إلى ثلاثة أقسام وهي:

ـ الوحدة الصرفية المفردة مثل: محمد، الكتاب.

ـ الوحدة التي تتكون من وحدتين: كتاب الولد، وفي الدّار.

ـ تحويل الوحدات الصرفية إلى رموز ذهنية "فونيمات": بعد ذلك يتم تحويل الوحدات الصرفية "المورفيمات" إلى عدة رموز ذهنية أو فونيمات حسب ما تحتويه الوحدة الصرفية من رموز.

ـ تحويل كل فونيم إلى صوت: وهذا هو الدّور الّذي تقوم به الأعصاب .

ـ نطق الصّوت: وهذا عندما تقوم الأعصاب بالتأثير على الجهاز النّطقي عند الإنسان لتحويل الفونيم إلى صوت، فمثلا إذا أراد المتكلم النطق بكلمة (رجل) فستحول الأعصاب أولا فونيمات هذه الكلمة إلى رموز ذهنية وهي (ر+ فتحة +ج + ضمة +ل) ثمّ تقوم أعضاء النّطق بتحويل الفونيم الأول إلى صوت مسموع والثاني والثالث وهكذا .

ـ وعندما ينطق الفمّ هذه الأصوات بطريقة متتابعة وسريعة، تنتقل إلى محيط الهواء وهنا تحدث عملية خلخلة للهواء، بحيث تنتقل جزئيات الهواء الّتي تحمل كل صوت من هذه الأصوات إلى أذن السامع التي

تنقلها بدورها إلى جهازه العصبي فتحولها إلى فونيمات أولا، ثم إلى وحدات صوتية ثانيا، ثم إلى علاقات نحوية ثالثا، ثمّ إلى دلالات رابعا، فيفهم السامع مراد المتكلم، وهنا تظهر الوظيفة الاتصالية للّغة.[1]

ثانيا_ اللّغة وسيلة للتعبير عن الحضارة: تعدّ اللّغة وسيلة للتّعبير عن الحضارة، فحضارة بلاد ما تندثر وتختفي إذا لم تملك لغة لتعبر عن حضارتها، يؤكّد اللّغويون أن كلّ لّغة تعبر بحاجات الحضارة التي تخصها ولكنّها قد تكون أداة غير وافية إذا ما استخدمت للتّعبير عن حاجات حضارة أخرى كما أنّ الفرد يدرك جيدا أنّ هذه اللّغة تعبر عن ثقافة مجتمعه ولكي يستطيع أن يتلقى تلك الثقافة لابد له أن يتلقى لغتها والّتي تكون بمثابة الوسيلة الأساسية لذلك.[2]فاللّغة تتشكل لحاجة اجتماعية، وضمن أطراف المجتمع، كما أنّها تلعب دور هام في عملية المعرفة.

1 . 3 خصائص اللغة:

من بين المحاولات الّتي قامت من أجل الوصول إلى طبيعة اللّغة وخصائصها المميّزة هي تلك الّتي قام بها العالم الأمريكي "تشارازهوكت" خلال عشر سنوات من البحث والدّراسة فقد حاول التوصل إلى الخصائص أو الصفات الّتي تميّز اللّغة الإنسانية، فأوضح على سبيل المثال أنّ مفردات لغة الإنسان تستطيع أن تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع كما يمكن أن تشير إلى الأفعال التي يؤديها الإنسان أو غيره من الكائنات، وبإمكانها أيضا أن تعبّر عن الأفكار الذّهنية المجرّدة، بالإضافة إلى ذلك فباستطاعة الإنسان أن يفهم الاسم مثلا على جميع الأشياء المتشابهة في الجوهر المختلفة في التفاصيل، فكلمة صندوق مثلا تشمل جميع أنواع الصناديق سواء كانت كبيرة أم صغيرة. كما أوضح أنّ اللّغة البشرية المستخدمة في مجتمع معين يتوارثها الخلف عن السلف وأنّه حتى لو كان الاستعداد لاكتساب

[1]– صلاح الدين حسنين ، دراسات في علم اللّغة الوصفي والتاريخي المقارن ، ص 41.

[2]– مها محمد فوزى معاذ ، الأنثروبولوجيا اللّغوية ،ص 109.

اللّغة أمرا بيولوجيا نظريا[1] . وتكلّم "تشارلز هوكت" عن صفة الازدواجية وهي من الخصائص المميزة للّغة، ومعناها أنّ الأصوات المنفردة في لغة الإنسان لا معنى لها، كحروف الصاد، والياء، والفاء مثلا إلاّ أنّها عندما تركب بشكل معين تتولد عنها كلمة – صيف – وهنا يصبح لها معنى. وهناك صفة وخاصية أخرى تبدو من أهمّ صفات اللّغة وهي قدرة لغة البشر على أن تشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن التكلم زمانا ومكانا، فيمكن الإشارة إلى أشياء غير موجودة أو متطورة أو ملموسة، كما أنّ اللّغة يمكنها الإشارة عن طريق الأفعال إلى الزمن الماضي والحاضر والمستقبل غير المتطور.[2] كذلك من خصائص هذه اللّغة المتكلمة أنّها تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي مهما قلّ عدد أفراد الجماعة اللغوية، هذا ما يضع اللّغة حتما في قائمة الرموز مثل عملة النقد الورقية الّتي ترمز إلى قيمة شرائية معينة، وتعتمد في قيمتها على العرف والاتفاق بين أفراد المجتمع لا على قيمتها الذاتية.[3]

أمّا إخوان الصفاء ذكروا بعض الخصائص الّتي تميّز لغة الإنسان ومن هذه الخصائص نجد أنّ الأصوات الّتي يصدرها الإنسان منطقية يمكن تقطيعها بالحرف، فغير النّطقية هي أصوات الحيوانات غير الناطقة. والخاصية الثانية هي أنّ صوت الإنسان يسمى كلاما أو لفظا أماّ أصوات الحيوانات فتطلق أسماء مختلفة حسب مصدر الصوت، والخاصية الثالثة أنّ أصوات الإنسان لها معاني علمية وأمّا أصوات الحيوانات فإنّها إرادات طبيعية، ويوضح الإخوان هذا بقولهم: "اعلم أنّ الكلام الّدال على المعاني مخصوص به عالم الإنسان وهو النّطق التّام بأي حروف كتب، والحيوان لا يشرك الإنسان فيه من الجهات المنطقية والمباراة اللّفظية لكن من جهة الحركة الحيوانية". ورابعا لغة الإنسان مكتسبة، أي

[1]– مها محمد فوزى معاذ ، الأنثروبولوجيا اللّغوية ، ص 26.

[2]– مها محمد فوزى معاذ ، الأنثروبولوجيا اللّغوية ص 28.

[3]– ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر، أحمد مختار عمر، ص 42.

يتعلمها الأبناء من الآباء[1].ونلاحظ أنّ هذه اللّغة هي أفضلية للإنسان على غيره لأنّها مرتبطة به وبقدراته.

1 . 4 الظاهرة الصوتية عند القدامى

الظاهرة الصوتية لها نصيب من الدّراسة كغيرها من الدراسات، فقد تناول اللّغويون القدامى الأصوات من حيث التركيب فقد كان هذا المجال أهمّ مجالات الدّرس عندهم ومن بين هذه الظواهر نجد الإدغام والإبدال، وغيرها من الظواهر الصوتية الأخرى، وكان وراء كلّ دراسة هدف يرمي إليها الدّرس.والظواهر الصوتية هي نتيجة للتأثير الحاصل بين الحروف فينتج عن هذا التأثير تغيير في بعض الأصوات فيمكن أن تفقد صفة أو تكسب صفة أخرى وفي هذا الصدد يقول جيلالي بن يشو: "لا تحتفظ الأصوات في الكلام المتّصل بخصائصها الّتي تعرف بها حين تكون مستقلة بل تكسب خصائص جديدة وذلك كأن تتصف الباء بالشفوية والجهر والشدة فإذا حدث وفقدت إحدى هذه الصفات، كأن تكون استجابة لمقتضيات السياق.[2] ولقد وردت مصطلحات هذا المبحث عند القدامى كما يلي:

أ . المماثلة والمخالفة:

ـ المماثلة: هي مظهر من مظاهر التغير التركيبي المشروط والمقصود، إذ هي تحويل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تمثيلا جزئيا أو كليا.[3] عرّفها أحمد مختار عمر: "هي التعديلات التكيفية للصّوت بسبب مجاورته ولا نقول ملاصقته لأصوات أخرى".[4]وهذه المماثلة تكون نتيجة اختلاف أصوات اللّغة فيما بينها في المخارج والصّفات من جهر وهمس، وشدّة إلى غيره من الصّفات، فإذا التقى في

---

[1]– أبو السيعود أحمد الفخلاني، البحث اللّغوي عند إخوان الصفاء، ص 189.

[2]– جيلالي بن يشو، بحوث في اللّسانيات، الدرس الصوتي العربي، المماثلة والمخالفة، دار الكتب الحديث، القاهرة، ط 1، 2006، ص 77.

[3]– محمود يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة والضّعف في أصوات العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 2006 ، ص 123.

[4] – أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي ، عالم الكتب ، ط4 ، 2006 ، ص 378.

الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين أو كان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما جذب وتكون الغلبة للصّوت الأقوى مما يسبب اندماجه في القوى أو قلبه إلى صوت ثالث مقارب للقوى في المخرج أو الصفات، وهذا كلّه من أجل تحقيق التوافق والانسجام بين الأصوات واقتصاد الجهد المبذول أثناء النّطق وللمماثلة أنواع هي:

_ المماثلة الرجعية: معناها أنّ الصّوت الثاني يؤثر في الصّوت الأول.

_ المماثلة التقدمية: الصّوت الأول يؤثر على الصّوت الّذي بعده أي يكون التأثير من السابق على اللاحق.[1]

_ المماثلة الكلية: الصّوت الّذي يتحول يُصبح من نفس جنس الصّوت المؤثر فيه.[2]

_ المماثلة الجزئية: تعني أنّ الصّوت الّذي يتحول يصبح قريبا من الصوت المؤثر فيه سواء في المخرج أو الصفات وليس من نفس جنس الصوت المؤثر[3].

<u>ملاحظة</u>: المماثلة لا تكون فقط على الأصوات الصامتة بل تتعداها إلى الأصوات الصائتة ففي بعض القبائل تنطق "مُنذ" بكسر الميم"منذ" ويبدو أن الأصل هو "من ذو" حيث قُلبت الميم المكسورة تأثرا بالضّمة اللاّحقة في 'ذو" فأصبحت "منذ"، وعلى هذا يكون الأصل "منذ".

ب_ المخالفة: هي تعديل الصّوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنّه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصّوتين"[4].وأطلق عليها الخليل بن أحمد الفراهيدي تسمية كراهية اجتماع المثلين وهو أوّل من أشار إليها لثقلها على اللّسان في أثناء تعريف الإدغام في قوله: "تقريب

---

[1]– محمد يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة والضّعف في أصوات اللّغة العربية، ص 134.

[2]– محمد يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة والضّعف في أصوات اللّغة العربية ص 134.

[3]– محمد يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة والضّعف في أصوات اللّغة العربية ، ص 135.

[4]– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغوي، ص 424.

الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه من مخرجه في اللّسان كراهية إن يعمل اللّسان في حرف واحد مرتّد مرتين فيستثقل عليها وهو عند الخليل مثل إعادة الحديث مرتين[1].وللمخالفة نوعان:

ـ **المخالفة المتجاورة:** وتتم بين صوتين متجاورين متشابهين.

ـ **المخالفة المتباعدة:** هذه المخالفة تكون في الأصوات الّتي يفصل بينهما فاصل من صوت آخر غير مناظر.[2]

والمخالفة تتعدى أيضا إلى الحركات منها :

ـ تحويل الضّمتين المتتاليتين إلى ضمة + فتحة .

ـ تحويل الفتحة إلى كسرة عند مجاورتها ألفا، وذلك لتجنب النّطق بمجموعة من الحركات المتّحدة الطابع، وهذا يفسّر لنا لماذا يُنصب جمع المؤنث السّالم بالكسرة نيابة عن الفتحة ولماذا كسرت نون المثنى على عكس جمع المذكر السّالم مفتوحة.

ـ تحوّل الكسرة إلى فتحة إذا جاوزت ياء مدّ كما في كثير العاميات العربية الّتي تبدل صيغة "فعّيل" مثل عوّيم.

ج_ الإدغام: هو إدخال حرف في حرف آخر من جنسه بحيث يصيران حرفا واحدا مسددا، وحكم الحرفين في الإدغام أن يكون أوّلهما ساكنا والثاني متحركا بلا فاصل بينهما. وسكون الأول إمّا من الأصل كالمدّ، الشدّ حيث أنّ الدّال الأولى منها ساكنة من أصلها، إمّا بحذف حركته مثل:

جدّ أصلها ← يجْدَدُ حيث نقلت حركة الدّال إلى ساكن قبلها وهي الجيم.

[1]– سيبويه، الكتاب، تح: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، دار المطبعة الأميرية، بولاق، ج 4، ص 424.

[2]– يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة والضّعف في أصوات اللّغة العربية ، ص 141.

شروط الإدغام: شروط الإدغام عند الخليل بن لأحمد الفراهيدي هي:

– أن يتّفق الحرفان في المخرج ويختلفان في بعض الصّفات الأساسية مثل الدّال والتّاء في قوله تعالى {قد تبين الرشد من الغلّي"[1] فالدّال والتّاء من مخرج واحد وهو طرف اللّسان ويختفي في صفتي الجهر والهمس فقط، وكذلك الثاء والدال في قوله تعالى "يلهث ذلك"[2] فالثاء والذال من مخرج واحد إلاّ أنّ التاء مهموسة والدال مجهورة[3].

– أن يتقارب الصّوتان المدغمان في المخرج والصفات الأساسية مثل: اللام و الراء في قوله تعالى: "وقل رب أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا"[4] وذلك لأنّ مخرجي اللام والراء قريبان من بعضهما، ويبن هذا أيضا قول الخليل: "وضربته فما اصْعَنْزَرَ إذا استدار الوجع مكانه وتقبض ولكنّهم يدغمون النون في الراء فيصير كأنّهم اصعرّر".[5]

أنواع الإدغام:

أ/ الإدغام المماثلين: الصوتان المتماثلان هما اللّذان يتّفقان في المخرج الّذي يحدثان فيه وفي صفة أي أنّه صوت واحد متكرر كالباء والتّاء عند التقائهما تحذف حركة أحدهما و يدغم الآخر ويتّخذ اللّسان بعد ذلك الحرفين في حرف مع إدغامه بالشدة.

ب/ إدغام متقاربان: وهو إدغام صوت في آخر لقرب أحدهما على الآخر سواء في الصفة أو المخرج.

د . الإعلال والإبدال:

[1]– سورة البقرة، الآية 256.
[2]– سورة الأعراف، الآية 176.
[3]– الخليل، العين، ج 1، ص 65.
[4]– سورة الإسراء، الآية80.
[5]– الخليل، العين، ص 151.

أولا_ الإعلال: ويشمل حروف العلّة حيث يقع فيها تغيير إمّا بالقلب أو الحذف أو النّقل ويكون الغرض منه التخفيف وللإعلال أنواع:

_ الإعلال بالحذف: وهو حذف حرف العلّة وهو كما عرّفه سيبويه "سُنَةٌ من سنن العربية في كلامها"[1].

_ الإعلال بالقلب: فالقلب باب يتّصل اتّصالا مباشرا بالإعلال والإعلال بالقلب هو قلب أحد حروف العلّة أو الهمزة حرفا آخر من هذه الحروف[2].

_ الإعلال بالتسكين: والمقصود به شيئان: الأول حذف حركة حرف العلّة وذلك للثّقل والثاني نقل الحركة قبله[3] .

ثانيا_ الإبدال: هو حذف حرف ووضع حرف آخر مكانه فهو يشبه الإعلال إلاّ أنّ الإعلال خاص بحروف العلّة وأمّا الإبدال فيكون في الحروف الصحيحة فيجعل أحدهما مكان الآخر وفي آخر حرف العلّة يجعل مكان حرف العلّة حرفا صحيحا[4]. وللإبدال أنواع:

_ الإبدال الصرفي: هو جعل صوت مكان صوت آخر في الكلمة الواحدة وفي الموضع نفسه.[5]

_ الإبدال الشاذ: يقع بين أحرف متباعدة الصفة ومخرجا ليس له وزن ولا يقاس عليهما.

_ إبدال المخالفة: هو إبدال لغوي يتم بجعل الصوتين المتماثلين صوتا واحدا.

---

[1]– سيبويه ،الكتاب، ص 209.

[2]– تمام حسان ، اللّغة العربية مبناها ومعناها ، 32 شارع عبد الخالق ، ثروت ، ط3 ، 1998 ، ص 276.

[3]– تمام حسان ، اللّغة العربية مبناها ومعناها ، ص 299.

[4]– المرجع نفسه ،ص 275.

[5]– راجي الأسمر ،المعجم المفضّل في علم الصرف،ص 19.

و_ الوقف:هو قطع النّطق عن آخر الكلمة اسما كانت أم فعلا أم حرفا. وللوقف أنواع:

_ الوقف بالإسكان: وهو الوقف على الكلمة الساكنة بالسكون، وعلى الكلمة المتحركة بإسكان الحرف المتحرك الأخير فيها.

_ الوقف بالأسماء: وهو ضمّ الشفتين والإشارة بهما إلى الحركة بدون صوت، وهو يخص بالمضمون، ولا يدركه إلاّ البصير.[1]

_ الوقف بالتسكين: أي الوقف على تاء التأنيث المفتوحة بالسكون.

. الوقف بالتضعيف: تشديد الحرف الأخير من الكلمة عند الوقف بشرط أن لا يكون "ألفا" أو "همزة" أو "واو" أو "ياء".[2]

. الوقف بالحذف: حذف الحركة عند الوقف سواء كانت حركة إعراب، أو بناء أو حذف الياء.

. الوقف بالرّوم: هو إخفاء الصّوت بالحركة عند النّطق، وذلك بتلفظ الحركات، مختلسة اختلاسا بحيث يدرك القريب دون البعيد.

. الوقف بالنقل: هو تسكين آخر حرف في الكلمة و نقل حركته إلى ما قبله.

. الوقف بهاء السكت: كل متحرك يقف عليه بالسكون، ويجوز أن يوقف على بعض المتحركات أيضا بهاء ساكنة تسمى"هاء السكت".

هـ . القوانين المتحكمة في الظواهر الصوتية:

[1]– مصطفى الغلاييني ،موسوعة جامعة الدّروس العربية ، ص 130.

[2] – راجي الأسمر، المعجم المفضّل في علم الصرف، ص 420.

القوانين الصوتية: هي الّتي تحدد ملامح التغيير في لغة ما، في أصواتها وفي زمن تطورها فهي تعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للّغة الواحدة في وسط اجتماعي معين. وهي قوانين ليست كغيرها من القوانين في المواد العلمية الّتي تمتاز بالضّبط التّام.

أمّا في المجال اللّغوي فهي ليست بقواعد ثابتة وذلك لعوامل: أهمّها تداخل العصور وتداخل لهجات اللّغة من جهة أخرى، فليس هناك حد فاصل بين عصر وعصر، أو بين لهجة ولهجة وهذا التداخل كلّ منهما في الأخر، فلا جديد يأتي إلاّ بالقديم، واللّهجات القديمة تبقى أثرها واضحة في اللّهجات الحديثة. ومعظم الاختلافات القائمة بين اللّهجات القديمة والحديثة وبين اللّغة الفصيحة هي اختلافات صوتية نتيجة التّطور الصوتي عبر التاريخ. يتميز التّطور الصّوتي بأنّه تلقائي وغير متعمد كما أنّ له صفة مجتمعية لا فردية كما أنه يسير ببطء وتدرج، إذ لا يحدث تغيير صوتي هكذا فجأة بين عشيّة و ضحاها وإنّما بعد أجيال وأجيال كما قد يكون هذا التغيير مطرد يشمل كلّ الكلمات التي تحتوي على هذا الصوت.[1]

تظهر هنا أهمية علم الأصوات التّطوري الّذي يدرس التغيرات الصوتية ومن المعلوم أنّ اللّغة لا تبقى على حالها مع مرور الوقت إنّما تتعرض في فترات تاريخية لتغيرات صوتية عديدة فهذه التغيرات تتبع حتما حركات المجتمع واتجاهاته بحيث قد تكون سريعة أو بطيئة هنا نقول أنه لا صوت يتغير بمعزل عن المجتمع أي مستعمليه أو بمعزل عن الأصوات الأخرى أي في نفس النظام و ذلك لأنّه في أي ايطار لغوي نجد كل شيء متماسك بالأخر.و يمكن أن نحصر أهمّ القوانين الصوتية في النقاط التالية:

[1] – رمضان عبد الله ،أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ،ص 130.

ـ قانون الظاهرة التوازنية .

ـ قانون التكرار والشيوع.

ـ قانون الاختزال (اليسر والسهولة).

ـ قانون الجهد الأقوى أي الصّوت الّذي يملك هيمنة في صفاته وقوة يجعله يؤثر في مجاورة الأضعف.

ـ قانون نسب التصارع و يؤدي إلى القلب المكاني.

ـ قانون المؤثرات الخارجية.

كان أول من هزّ فكرة "القوانين الصوتية اللّغوي السويدي "كوكاكس" الّذي نشر في عام 1892 دراسة جذب فيها الانتباه إلى سلسلة من العوامل الّتي تقلل من فاعلية القوانين الصوتية، مثل اختلاف نسبة تردد الكلمات أو الأصوات في اللغة.[1]

يعترف المهتمون بعلم الأصوات التطوري بأنّهم مدينون إلى حد كبير بهذا الفرع من علم اللغة المسمى: الجغرافية اللّغوية في التوصل إلى بعض الاكتشافات في حقل علم الأصوات التطوري.

من أهمّ القوانين الّتي يرى علماء الغرب أنّها تتحكم في الأصوات نجد :

. قانون جرامونت

. قانون السرعة

. قانون التوازن

. قانون التردد النسبي

[1]– أحمد مختار عمر ، دراسة الصّوت اللّغوي ، ص372.

. قانون العامل الخارجي.

قانون جرامونت صاغه اللّغوي الفرنسي "موريس جرامونتّ" كقانون سماه " قانون الأقوى" و هو قانون حقق شهرة، وملخصه أنّه حينما يؤثر صوت في أخر فإنّ الأضعف بموقعه في المقاطع هو الّذي يكون عرضة للتأثر بالأخر.[1]أمّا **قانون الجهد الأقل:** نجده في نطق أصوات اللّغة عندما يحاول المتكلم تحقيق حدّ أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد وهذا هو السبب الّذي جعل المتكلمين يحاولون أن يتجنبوا التّحركات النّطقية الّتي يمكن الاستغناء عنها مثال على ذلك عند نطق تاءين متتاليين .

قانون التردد النسبي أشار إليه الباحثون في السنوات الأخيرة إلى تردد الوقوع للفونيمات، فالفونيمات الأكثر ترددا تخزينها أسهل، والكلمات الكثيرة التردد في كل يوم تتعرض لتأثيرات صوتية أكثر من كلمات نادرة.

قانون التوازن كان "أندري مارتيني" من أشهر من قادوا الأساس المتين لعلم الأصوات التاريخي بحيث أنّه لا صوت يتطور بمعزل عن الأصوات الأخرى في نفس النظام[2].

أمّا قانوني السرعة و**العامل الخارجي** سنتحدث عنهما في عوامل تطور الصوت اللغوي.

1 . 5 عوامل تطور الصوت اللغوي:

من بين الأبحاث الّتي قام بها العلماء في مجال الدراسة الصوتية نجد تحديد عوامل تطور الصّوت اللّغوي بحيث أرجحوها إلى عوامل لغوية وغير لغوية، والعوامل الغير لغوية تتمثل في:

[1]– أحمد مختار عمر ، دراسة الصّوت اللّغوي ، ص 387.

[2] – أحمد مختار عمر ، دراسة الصّوت اللّغوي ، ص 389.

_ اختلاف أعضاء النطق: تقّر هذه النظرية أنّ سبب التّطور الصّوتي راجع إلى اختلاف أعضاء النطق عند الإنسان هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك من يعارض هذا الرأي لكون أعضاء النطق واحدة عند البشر.

_ الحالة النفسية: ترى هذه النظرية بأنّ الشعوب الّتي تميل إلى الدّعة والاستقرار تميل أصوات لفتها إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، وقد يستأنس لهذا الرأي بما نعرفه عن اللهجات العربية القديمة وميل البيئات المختصرة في جزيرة العرب إلى الأصوات الرخوة في حين الأماكن البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة.[1] يظهر هنا العامل الثالث المتعلق بالبيئة الجغرافية بحيث يرى بضعهم من المحدثين أنّ للطّبيعة الجغرافية أثر في تطور الأصوات.

العوامل اللغوية تتمثل في:

_ نظرية الشيوع: فالصّوت إذا شاع استعماله كان أكثر عرضة للظّواهر اللّغوية كالإبدال والإدغام و قد يتعرض أحيانا للسقوط في الكلام.

_ نظرية السهولة: تشير إلى أنّ الإنسان يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني[2].

يرى إبراهيم أنيس في هذا التّطور "أنّ الإنسان في نطقه يميل إلى تلمّس الأصوات السهلة الّتي لا تحتاج إلى جهد عضلي فيبدل مع الأيام بالأصوات الصّعبة في لغته، نظائرها السهلة وقد اعترف القدماء بكراهية التّضعيف، ولعلّهم يريدون بهذا أنّه يحتاج إلى مجهود عضلي[3].

---

[1]– إبراهيم أنيس ،الأصوات اللّغوية ،ص 138.

[2]– رمضان عبد الله ، أصوات في اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 132.

[3]– إبراهيم أنيس ،الأصوات اللّغوية ،ص 140.

ـ مجاورة الأصوات: إنّ مجارة صوت لصوت آخر يؤدي أحيانا إلى تطور الصّوت.

ـ انتقال النبر: وذلك بالضّغط على مقطع ما، وعلى العموم نقول أنّه لا يمكن الاعتماد على نظرية أو أخرى من أجل حصر التّطور الصّوتي بل هناك عدّة عوامل تساهم في هذا الّتطور، فمثلا إذا قلنا أنّ قانون الاختزال أو اليسر والسهولة أو نظرية المجهود العضلي في نطق بعض الأصوات الصّعبة في الهمزة قد مالت كثير من اللّهجات إلى تخفيفها أو تسهيلها فإنّنا نجد في المقابل لهجات أخرى تأثّر على الهمزة وبل تجعل القاف همزة والأكثر من ذلك أن نجد لهجات تقلب صوت الليّن همزة وهذا ما يدفعنا إلى القول أنّ السّهولة والصعوبة أمر نسبي فما تراه سهلا قد يراه غيرك صعبا و العكس صحيح . إنّ معظم هذه العوامل راجع إلى التّعود اللّغوي في الصّغر وما تَعوّد عليه الفرد هو الأيسر وما لم يتعود عليه هو الأصعب، فالمصريون يجدون صعوبة في نطق التّاء والظّاء والذال في لغتهم الفصحى لأنهم لا يخرجون اللّسان فيها فهي أصوات بين أسنانية، كما نجد بعض الخليجيين وغيرهم يجد معاناة في نطق الضّاد فهي عندهم في لهجتهم (ظاء)، ونعود إلى المصريون بحيث نجد أنّهم يخطئون في نطق بعض الحروف الإنجليزية.[1]

كما يمكننا أن نضيف إلى هذه العوامل أو الأسباب الحامل الثقافي الّذي تحدّث عنه دكتور رمضان عبد الله في كتابه "أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللهجات" بأنّ اللّغة العربية عندما انتشرت في القبائل كان معظمهم يعانون من الأمية والله أرسل رسولا أمّيا (صلى الله عليه و سلم) وكان لشيوع هذه الأمية أثر بالغ في تغيير الأصوات وتبدّلها بغيرها من الأصوات الأخرى ومازلنا إلى يومنا هذا نسمع الكثير من الأميين يبدلون صوت محل صوت آخر مشابه أو مماثل لكونهم يعتمدون على السماع، ولكن الأكثر غرابة أنّ المكتوب أيضا عرضة للتّحريف والتبديل دون سبب مقدم. فانتشار الأمية قديما كان دافعا

[1] – رمضان عبد الله ، أصوات في اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 134.

وعاملا في التغيير الصوتي[1]، هذا في العصر القديم أمّا حاليا فإنّ انتشار الثقافة و الوعي و عالم الانترنت نجد أنّه يقرّب اللّغة واللّهجة ويقلل من أثر اللّهجات المحلية بأصواتها المتنوعة للّغة الأم، فالعامل الثقافي والاجتماعي يؤثران كثيرا في التطور الصوتي تأثيرا بالغا، ثم إنّه من المستحيل أن نجد لغة معينة محفوظة من هذا التغيير لكن قد يكون هذا التغيير طفيف لا يؤثر على اللّغة الأم وقد يكون العكس.

كما يمكن أن نضيف إلى هذه العوامل عامل سرعة الأداء الصوتي فعندما تؤدى الأصوات بهدوء وبطء فهي تبدو في هذه الحالة واضحة المعالم والملامح ولكن عندما تؤدى الأصوات بشكل سريع متعجل تبدو وكأنّها تائهة المعالم والملامح والصّفات، وفي مقابل هذا العامل هناك عاملا آخر و هو بطء الأداء والّذي رصده القدماء بما يسمى التضجع ويقصدون به التباطؤ والتراخي في نطق الأصوات فيؤدي هذا العامل إلى افقاده صفاته الأصلية.[2]

أمّا في كتاب "دراسة الصوت اللغوي" لأحمد مختار عمر يرى أنّ تطور اللّغات في جانبها الصوتي أسرع وأكثر تنوعا من تطورها في جوانب الصيغ والنحو والمفردات والأساليب، لكون الجانب المنطوق في اللّغة يمارس بحرية أكثر من الجانب المكتوب، بالإضافة إلى أنّ اللّغة تصادف في تركيباتها وتجمعاتها الصوتية ظروفا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، ولهذا ينفصل الصوت عن صورته و يتطور دونه[3].

بناء على طبيعة هذه العوامل الّتي تؤدي إلى تطور الصوت اللّغوي نرى عد إمكانية الاعتماد عليها بصفة كلية لكونها نسبية، فمثلا في عامل البيئة الجغرافية حتى وإن كانت بعض الجهات الجبلية

[1] – رمضان عبد الله ، أصوات في اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 139.

[2] – رمضان عبد الله ، أصوات في اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 143.

[3] – أحمد مختار عمر ، دراسة الصّوت اللّغوي ، ص 370.1

تميل إلى الخشونة، ليس السرّ في هذه الطبيعة الجبلية بل يجب أن نبحث عن أسرّار أخرى لأنّ كثيرا من الجهات السهلة قد اشتركت أصواتها في هذه الصفة[1].

أمّا في عامل الحالة النفسية يرفض إبراهيم أنيس الاعتماد عليه كعامل ثابت لتطور الأصوات فهناك من لا يعانون أبدا من الحالة النفسية إلاّ أنّهم ينطقون أصوات تارة تمتاز بالشدّة والرخاوة وتارة أخرى لا، فهذا لا يستحق أن نقف عليه أكثر لأنّ الربط بين أصوات اللّغة والحالة النفسية عند الشعوب لا يجد ما يؤيده في تاريخ الشعوب الأخرى[2].

والأمر نفسه مع العوامل الأخرى الّتي أضحت نسبية بين الشعوب، حيث لا يحق لنا أن نجعلها قطعية ثابتة لأنّها قابلة للتطور والتغير وحتى الزوال من منطقة إلى أخرى.

1 . 6 علم الأصوات النطقي والأكوستيكي:

ما لا جدال فيه هو أنّ علم الأصوات هو ذلك العلم الّذي يدرس أصوات اللّغة دراسة علمية، وهو أحد جوانب الدّرس اللّغوي الحديث الّذي تتدرج تحته دراسة اللّغة في أربع مستويات هي الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي كما تشير إليه الكتابات والبحوث اللّغوية، ونميز مصطلحين أجنبيين يطلقان على علم الأصوات هما مصطلح phonitics ومصطلح phonology، فهناك من يخلط بينهما وهناك من يجعلهما مترادفان أمثال المحدثين وهناك من يرى أنّهما يدرسان التغيرات الحادثة لأصوات اللّغة بحيث يقسمون الفونتيك إلى فروع منها ما هو راجع إلى كيفية إنتاج الأصوات وانتقالها،واستقبالها وله أقسام عدّة هي: علم الأصوات السمعي، علم الأصوات النطقي أو علم الأصوات الفسيولوجي.

[1] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ، ص 164.

[2] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ، ص170.

ما يهمنا نحن هذا الأخير أي علم الأصوات النّطقي أو الفسيولوجي وهو من أقدم فروع علم الأصوات وأكثرها انتشارا في البيئة اللّغوية، وهذا راجع إلى وظيفته الّذي يدرس نشاط المتكلم بالنظر إلى أعضاء النّطق، بحيث يعيّن ويبين الأعضاء المشاركة في نطق صوت ما ويحدد وظائفها ودور كلّ واحد منها، لينتهي بذلك إلى تحليل ميكانيكي ألا وهو إصدار الأصوات[1]. ثمّ إنّ دراسة هذا العلم لا تبذل تفكير معمق لكونها ترى بالعين المجرة وتخضع للممارسة الشخصية أثناء تذوق الأصوات ونطقها عدة مرات في اليوم.

هذا العلم يدرس جهاز النّطق من منظار التشريح والفيزيولوجيا و يصف طريقة إحداث أعضاء النّطق للأصوات النّطقية ومخارج هذه الأصوات وأكثر مصطلحات هذا العلم مستعار من الفيزيولوجيا أي علم وظائف الأعضاء لذلك يسميه بعضهم بعلم الأصوات الوظائفي[2].

كانت الدّراسة الصوتية القديمة مبنية على هذا الجانب بوصفه الوسيلة المتاحة الّتي يمكن الاعتماد عليها حتى نكشف عن الجوانب الأخرى للصوت. ولا ننسى أنّ هذا العلم (علم الأصوات النطقي) ظهر واضحا عند العرب و كذلك سار على هذا النهج غيرهم من الأمم في أوروبا وغيرها[3].

فظل هذا العلم يعتمد على تذوق الأصوات والملاحظة الذاتية لأجيال وسنوات متعاقبة إلى أن انتبه إليه علماء الأصوات في السنوات الأخيرة لتأكيد نتائجهم وذلك باستعانتهم بعلم التشريح وعلم الأحياء والفسيولوجية أي علم وظائف الأعضاء، فكانت لهذا الأخير أثار بعيدة المدى في الكشف عن عملية النّطق وحقيقة ما يجري عند إصدار الأصوات الإنسانية، وبعدها ظهر ما يسمى علم الأصوات الفسيولوجي و أصبح يعرف الآن بعلم الأصوات النّطقي.

---

[1] – كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 46.

[2] – روعة محمد ناجي ،علم الاصوات وأصوات اللّغة العربية ،المؤسسة الحديثة للكتاب ،ط 1 ،لبنان ،ص 09.

[3] – كمال بشر، علم الأصوات ، ص 49.

وهذا العلم لا يحاول تصنيف ودراسة التنوع اللاّنهائي من الأصوات أو المواقع الّتي يمكن النّطق من خلالها، ولكن فقط ما يقع منها وراء عتبة الإدراك، والعدد الّذي يمكن أن يميز بينه من الناحية الإدراكية محدود إذا قيس بإمكانية الجهاز النّطقي في إنتاج الأصوات[1] .فيقوم أساسا على تحديد مخارج الأصوات وبيان الصّفات الصوتية الّتي تشكل الصوت كما أنّه يعطينا وصفا موضوعيا لهذه الأصوات وكيفية إنتاجها ويصنفها تصنيفا ضيقا أو واسعا وعلى سبيل المثال كيف ينتج الصوت في لغة أجنبية مثلا وكيف ينتج هذا الصوت بالتحديد في اللّغة العربية مثلا.[2]يعالج أصوات الكلام علم آخر كما يستقبلها الأذن السّامع وهو علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي الّذي هو حديث النشأة، فهو يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي فكانت وظيفة هذا العلم دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، فهو يحلّل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرّات الهواء في الجهاز النّطقي المصاحبة لحركة أعضاء هذا الجهاز. يعني هذا أنّ وظيفته مقصورة على تلك المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السّامع بوصفها الميدان الّذي يُنتظم مادة الدراسة فيه، وهي الذبذبات والموجات الصوتية المشار إليها سابقا. لقد قدّم هذا العلم كثيرا للدّراسات الصّوتية اللّغوية بتقديم وسائل جديدة لدراسة الأصوات ووصفها ومن بين المساعدات التي قدّمها هذا العلم للدارسين نجد:

ـ الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة لهم من قبل.

ـ تعديل مناهج الدرس وطرقه، وتغيير ملحوظ في أرائهم وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات.

ـ تأييد بعض الحقائق الّتي وصلوا إليها بالطرق التقليدية، وتأكيد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق.

[1] – أحمد مختار عمر ، دراسة الصّوت اللّغوي ، ص 100.

[2] –ماريو باي، أسس علم اللّغة ، تر: د.أحمد مختار عمر ، ص 48.

لا يزال هذا العلم يقدّم خدمات هامة في المجالات البشرية مثلا عن ذلك، هندسة الصوت وما يتصل بها من الوقوف على طبائع الصوت الإنساني في صورته الثانوية المبثوثة إلى الهواء بطريق المذياع أو وسائل الاتصال السلكية المختلفة.[1] لم تقف أهمّية علم الأصوات الأكوستيكي عند هذا الحدّ بل جاوزته إلى ميادين كانت تبدو بعيدة عن هذا العلم وليس مختصا في البحث فيها، ومن أهم هذه الميادين ميدان البحث التاريخي في الأصوات، أو النظر في تغيير الأصوات وتطورها، فكان العالم الإسباني (أمادو ألونسو) أّول من تفطن إلى أهمية العامل الأكوستيكي في تطور الأصوات في كلامه عما سماه "التعادل الأكوستيكي للأصوات"[2]. كما أنّ هناك محاولات تهدف الوصول إلى إمكانية تحويل الكلام المنطوق إلى كلام مكتوب آليا والعكس أي جعل الكلام المكتوب كلام منطوق رغم وجود الصّعوبات الّتي تعترض هذين الاختراعين.

هكذا نرى أن هذا العلم يجري بسرعة فائقة ليلحق بالفرع الآخر الأسبق منه وجودا (علم الأصوات النطقي). وعلى أساس أنّهما متكاملان يمثلان جانبين لشيء واحد ذي موضوع واحد ألا وهو الصّوت الإنساني، فهذين الفرعين كليهما يعتمدان على الصّوت الإنساني وكيفية نطقه وحالة نطقه والأعضاء المشاركة في نطقه.....الخ فالأول يخدم الثاني والعكس صحيح.

[1] – كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 49.

[2] – كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 55.

المبحث الثاني:

الدّرس الصوتي عند العرب القدامى

توطئة

من الطبيعة أن يتلاحم الصوت والصورة النطقية بمجرد التصويت، فكل صوت يرمي إلى صورة معينة عن طريق جرس أصواتها وما تحدثها فينا هذه الأصوات من إيحاءات مختلفة.

في ضوء هذه الفكرة بدأت الدراسات الصوتية بداية حسنة عند العرب اللغويين وذلك في عهد التدوين، بحيث تهدف إلى المحافظة على النطق السليم خوفا من تعاجم الألسن، وكانت البداية من هنا لظهور لدراسات اللّغوية، وخاصة في مجال علم الأصوات، فكانت لهم جهود موفقة في تصنيف وتقسيم الأصوات فلا مجال الدراسات الصوتية القديمة.

اهتم الإنسان بالظاهرة الصوتية منذ القدم، فظهرت عدّة محاولات هدفها تفسير وتوضيح المظاهر المختلفة للصوت ومن أهمّ الدراسات الصوتية في تاريخ الحضارة الإنسانية، نجد الدراسة الصوتية عند الهنود والّتي ظهرت من أجل الحفاظ على كتابهم المقدس (الفيدا) والّذي يمثّل عندهم عقيدة وشريعة وتقرّ الدراسات المعاصرة على أنّ الهنود لهم الفضل في وصف أصوات اللّغة السنسكريتية وكان الهدف منها هو إتقان هذه الأصوات من أجل قراءة الكتاب المقدس (الفيدا) .

اهتّم اليونان أيضا بهذه الدّراسة اللّغوية والّتي ترتبط أكثر بالجانب الفلسفي بحيث تناولوا في دراساتهم مشكلة اللّغة وما يعاب عنهم أنّهم درسوا فقط لغتهم نتيجة احتقارهم للّغات الأخرى لكونها عندهم غير مفهومة.وأكبر انجاز حققه اليونان في هذه الدّراسة اللّغوية هو الدّراسة الأبجدية اليونانية وذلك باعتمادهم على مفهوم الحرف كما أنّهم ميزوا بين الأصوات الصائتة والأصوات الصامتة[1].

أما عند العرب فيعود الفضل في نشأة الدراسات اللّغوية للقرآن الكريم فكان منطلق شعورهم بمعجزة البناء اللّغوي على مستويي التركيبي والدلالي فوضعوا معايير للحفاظ على النطق السليم.

[1]– روبينس، نقلا عن أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ،عالم للكتب، ط6، القاهرة ، 2003، ص 62.

للجانب الصّوتي عند الدّارسين القدامى مكانة رغم اختلاف تخصصاتهم، قراء، نحاة، علماء أصول، فلاسفة. ومن أهم الجهود لتطوير الدرس الصوتي، نجد المحاولات الّتي قام بها أبو الأسود الدؤلي مع كاتبه بتشكيل القرآن الكريم إذ قال لكاتبه: " إذا رأيتني قد فتحت فمي فانقط نقطة وإذا كسرت فاجعلها فوقه على أعلاه، وإذا ضممت فمي بين يدى الحرف فاجعل النّقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين"[1].

أماّ دراسات الخليل لم تقل شأنا في الفكر اللّغوي العربي القديم فكانت له الرؤية العميقة لطبيعة الأصوات اللّغوية، وهذا ما ولّد له أول معجم عربي وهو "العين" وذاك نسبة إلى أول صوت حلقي حسب ترتيب الأصوات عنده، ليظهر بعده النحوي "سيبويه" حيث تناول الأصوات اللّغوية بدءا بالمخارج والصفات وصولا إلى الأصوات أثناء تأليفها وتركيبها في السياق اللّغوي، وبرزت قيمة الصوت عند ابن جني في كتابه "سرّ صناعة الإعراب" إذ تناول الصّوت من الناحية العضوية والوظيفية، كذلك قام بوصف جهاز النطق عند الإنسان.

1 . مفهوم المصطلح الصوتي عند العرب القدامى

تعتبر الدراسة الصوتية المستوى الأول، ضمن مستويات التحليل اللّساني، ويهتمّ هذا المستوى بدراسة الأصوات اللّغوية من عدة جوانب فكانت معالجة الصّوت عند العرب القدامى مختلطة بغيرها من البحوث لكن بعد مجيء ابن جني وفي القرن الرابع هجري ألّف كتابا في الأصوات تحت عنوان "سر صناعة الإعراب" وفيه تناول كيفية حدوث الصوت وقد عرّفه في كتابه "إنّ الصّوت مصدر صات الشيء يصوّت صوتا فهو صائت، وصوت تصويتا فهو مصوت... يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار، الصّوت مذكر لأنّه مصدر بمنزلة الضرب والقتل والغدر والفقر[2]. أمّا اصطلاحا فيعرفه في كتابه " سر صناعة الإعراب" اعلم أنّ الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في

[1]– الطيب دبه. مبادئ في اللسانيات البنوية، جمعية الأدب للأستاذة الباحثين ، ص 15.

[2] ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ص10.

الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنية من امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها".[1] نستنتج من تعريف ابن جني أنّ لهواء شرط ضروري لإنتاج الصّوت وكذلك نلاحظ أنّه لم يستخدم مصطلح الصوت بل استخدم مصطلح الحرف، وجعله أقوى من الحركة، ونجد أيضا من بين الّذين تطرقوا للصوت قديما تلميذ الخليل سيبويه بحيث سار على طريقه في دراسة الأصوات فخصص لها فصولا في كتابه "الكتاب" وذكر عددها وصفاتها وذلك في باب أعلاه الإدغام مبررا ذلك بقوله" وإنّما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحق فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو يزنه المتحرك"[2]. وقد حدد سيبويه الحروف العربية بتسعة وعشرين حرفا وهو نفس العدد عند الخليل، كما حصر سيبويه المخارج ستة عشر مخرجا، وتطرق أيضا إلى صفات الحروف في باب الإدغام فهناك:

– الحروف المجهورة: عددها تسعة عشر حرفا.

– الحروف المهموسة وعددها عشرة .

الحروف الشديدة: الحروف الرخوة، المركب، المتحرف، المكرر، اللينة، الهاوي، المطابقة المتفتحة.وأشار سيبويه إلى فكرة مفادها: وجود أصوات غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضي عربيته كما أنّها لا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر..."[3]. وتنبّه إلى أهمية اللّسان في العملية النّطقية، بحيث يتخذ معها أشكالا وحالات معينة في تكوين الأصوات.

أمّا جهود ابن سينا في الفكر الصّوتي تظهر في تأليفه رسالة في الأصوات تحت اسم" أسباب حدوث الحروف" وقد قسّمها إلى خمسة فصول أوّلها عن سبب حدوث الصوت وغيره وثانيها عن سبب

[1] ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب ، ص 11

[2] رمضان عبد الله ، بين الفصحى واللهجات، مكتبة بستان المعرفة، ط1، 2006، ص22.

[3] – الحازي ، الأصوات العربية بين الخليل وسبويه، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى، مكة، العدد2، السنة الثانية ،ص 355.

حدوث الحروف ويقصد بها الأصوات الإنسانية أو اللّغوية وثالثها في بيان تشريح الحنجرة واللّسان ورابعها عن الأسباب الجزئية لحذف حرف من حروف العرب وخامسها في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة كل، فإن تناول ابن سينا للأصوات متميزة عن من سبقوه[1].

اهتم ابن منظور بالصّوت فيقوله: "الصّوت هو الجرس، معروف مذكّر...، والجمع أصوات، وقد صات يصوّت وأصات وصوّت به، . كلّه نادى . ويقال صوّت، يصوت تصويتا، مصوّت وإذا صوّت بإنسان ودعاه، ويقال : صات يصوت صوتا فهو صائت معناه صائح"[2].

تناول ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر" حيث تحدث كثيرا عن الأصوات اللّغوية دون غموض أو تحريف لأصوات اللّغة معتمدا على تلقين القراءات وضبطها شفويا حتى انتهى الأمر إلى بضعة متون صغيرة سميت (علم التجويد)...[3]

يعرّفه ابن فارس في قوله: " الصاد والواو والتاء أصل صحيح وهو الصوت وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع، يقال: "هذا صوت زيد، رجل صّيت إذا كان شديد الصوّت ، وصائت إذا صاح"[4].

أمّا الجاحظ يقول "هو آلة اللّفظ والجوهر الّذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"[5].

ومن هؤلاء العلماء الّذين تطرقوا إلى دراسة الصوت نجد **الزمخشري** وهو من علماء العربية في القرن السادس الهجري، وعندما ألف كتابه (المفصل) في النحو نجده قد خصص القسم الأخير منه للدراسة الصوتية، ولا نكاد نجد في كتابه إضافة لما ذكره سابقوه وبخاصة الخليل وسيبويه وكذلك فعل

---

[1]– رمضان عبد الله، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات،ص 23 .

[2]– ابن منظور، لسان العرب ، المجلّد2، دار صادر، بيروت،ص57.

[3]–رمضان عبد الله ، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللهجات ،ص 24.

[4]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللّغة والإعلام، تح عبد السلام محمد هارون ، دار جيل ، بيوت ج 3، ص318/ص319.

[5]– الجاحظ ، البيان والتبيين، ج،نقلا عن حلمي خليل،دراسة في اللّغة والمعاجم ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت،ص 31.

شارح كتابه (ابن يعيش)في شرحه (للمفصل). ولم يكن السكاكي أقل شأنا من العلماء الآخرين حيث اهتم بالأصوات في محاولة جادة منه في كتابه (مفتاح العلوم) حيث قدّم رسما بسيطا لأعضاء النطق وذكر الأصوات وصفاتها...[1].

يمكن القول أنّ الدّرس الصّوتي عند القدامى من علماء العربية قد نال حظا من الاهتمام والعناية، وقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللّغوية، شهد المحدثون أنّها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، غير أنّ المتأخرين منهم قد اكتفوا بترديد كلمات المتقدمين دون فهم أو نظر فيها، فقد أصاب بعض هذه الأصوات تطور لم يلحظوه، ولكنّهم لم يستكملوا تلك البحوث القيمة.

مع أنّ الدراسة الصوتية عند علماء العربية قد جاءت بنتيجة هامة من ناحية الدّراسة النحوية والصرفية حتى إنّ بعض النحاة يجعلها في نهاية كتابه، وكلّ هذا يقودنا للقول أنّ الدّراسة الصوتية أجود العمل اللّغوي عند العرب من حيث منهجية التفكير وطرق الدّراسة.

1 . 1 الصوت اللّغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي .

تعريف الصّوت:

أ. لغة: ما يقوم بغيره من المعاني الحسّية كالبياض والزّرقة، والمعنوية كالعلم، والجهل، والفرح، والصبر...الخ.

ب . اصطلاحا: صوت اعتمد على مخرج محقق أو مقدر، وتعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر. ويروى على أنّه قال: " فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها

[1]– رمضان عبد الله، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللهجات،نقلا عن السكاكي ، مفتاح العلوم23.

فأنظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحد في الكتاب المقدم فهو ذلك الكتاب"[1]. كان الخليل أسبق من ذاق الحروف، ليعرف مخارجها يقول تلميذه "الليث بن المظفر": وإنّما كان ذواقة إياها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو/ أب، أت... فوجد أدخل الحروف في الحلق نجعلها أول الكتاب[2]. والكتاب المذكور هنا هو معجم "العين" المنسوب للخليل الّذي وضعه للألفاظ العربية، وقد رتّبه على حسب مخارج الأصوات، فنبدأ بأصوات الحلق، ثم أصوات أقصى الفمّ، ثم أوسط الفمّ، ثم أدني الفمّ، ثم الشفتين.

أمّا عددها فقد حدد الخليل بن أحمد الفراهيدي حروف العربية تسعة وعشرين حرفا، قال الليث، قال الخليل: في اللّغة تسعة وعشرون حرفا..."[3].أماّ الأزهري فيقول أنّه قال للخليل قال: " والحروف الثمانية والعشرون على نحوين معتل وصحيح..." [4]. ومن خلال هذين القولين هناك خلط في عدد الحروف، ربما يعود هذا الخلط إلى النقل أو سوء الفهم، ونقلا عن خليل كذلك أنّها تسعة وعشرون على النحو الآتي:

الهمز	رمزها	ء
الألف	رمزها	ا
الهاء	رمزها	هـ
العين	رمزها	ع
الحاء	رمزها	ح
الغين	رمزها	غ

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (ج) ،ت ح الدكتور عبد الله درويش ، مطبعة الكافي، بغداد ،سنة 1967،ص 11.

[2] دكتور رمضان عبد الله ، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللهجات ،ص 20.

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (ج) ،تح، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي مؤسسة الأعملي للمطبوعات، بيروت لبنان،ص 10..

[4] – الأزهري ، أبو منصور، محمد بن أحمد ، تهذيب اللّغة (ج) تح عبد السلام هارون، د ط، المؤسسة المصرية، 1954،ص 50.

الخاء رمزها خ

الكاف رمزها ك

القاف رمزها ق

الضاد رمزها ض

الجيم رمزها ج

الشين رمزها ش

الياء رمزها ي

اللام رمزها ل

الراء رمزها ر

النون رمزها ن

الطاء رمزها ط

الدال رمزها د

التاء رمزها ت

الصاد رمزها ص

الزاي رمزها ز

السين رمزها س

الظاء رمزها ظ

الذال رمزها ذ

الثاء رمزها ث

الفاء رمزها ف

الباء رمزها ب

الميم رمزها م

الواو رمزها و

2 .1 مخارج الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي

سبق وأن تعرضنا لمفهوم المخرج في المدخل فذكرنا أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أطلق على مصطلح المخرج أنّه المنطقة الّتي يولد منها الصّوت اللّغوي[1] بالإضافة إلى مصطلحات أخرى منها الحيز والمدرج والموضع، فالحيز هو الفراغ الّذي يمكن أن يشغله أكبر قدر ممكن من الأصوات وأمّا المدرج فيعرف أنّه الموضع الّذي يبدأ منه الصوت في منطقة اعتراض الهواء. والسبب الّذي دفع الخليل إلى دراسة المخارج تكمن في الحفاظ على كتاب الله تعالى من اللّحن والتحريف، فدراسة المخارج والصفات هي الركيزة الأولى لكل قارئ للقرآن، حيت قال الإمام ابن الجزري:

إذ واجب عليهم محتم قبل الشروع أولاً أن يعلموا

مخارج الحروف والصفات ليلفظوا بأفصح اللّغات[2].

فكل لغة ولها مخارجها الخاصة بها، وهذا راجع إلى أنّ نطق الأصوات مرتبط بالخبرة الفعلية والعادة النطقية الّتي تعوّد عليها المتكلمون كما تختلف أيضا لأسباب أخرى منها: الأثر الثقافي والاجتماعي ضف إلى ذلك طبيعة وبنية الجهاز النطقي لكلّ واحد منا.

[1] علاء جبر محمد، المدارس اللّسانية العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 206، ص 21.

[2] أبو الفتح الرحمان جمال إبراهيم، دراسة علم التجويد، دار بن الجزري، ط2 ،1425 هـ، ص 173.

ونتيجة هذه الأسباب والاختلافات يصعب التحديد الدقيق لمخارج الأصوات ونحن نركز على بيان مخارج أصوات اللّغة العربية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي الّذي جعل المخارج ثمانية:

. **المخرج الحلقي:** ويضم العين والهاء والغين والخاء والحاء وسمّيت بالأصوات الحلقية لأنّ مبدأها من الحلق.

. المخرج اللهوي: القاف، الكاف وهما صوتان لهويان لأنّ مبدأهما من اللّهاة.

. المخرج الشجري: يضم كلا من، الجيم، الشين، الضاد وسميت بالأصوات الشجرية لأنّ مبدأهما من مفتح الفم.

. المخرج الأسلي : وهي الصاد والسين والزاي وهي أسلية لأنّ مبدأها من أسلّة اللّسان.

. المخرج النطعي: الطاء، التاء، الدال وهي نطعية لأنّ مبدأهما من نطع الغار الأعلى.

. المخرج اللثوي: الظاء، الذال، الثاء، وسميت باللّثوية لأنّها تخرج من اللّثة.

. المخرج الذلقي: الراء ،اللام، النون وسميت بالذلقية لأنّ مبدأها من ذلق اللّسان.

. المخرج الشفوي: الفاء، الباء، الميم وسميت بالشفوية أو شفهية لأنّ مبدأها من الشفة.

وأما الواو، الياء، الألف، الهمزة هوائية في حيز واحد لأنّها لا يتعلق بها شيء[1].

اعتمد الخليل في تحديد المخارج على أساس الذوق لأنّه أوّل من تذوق الحروف ليعرف مخارجها. بمعنى أنّه يسبق الحرف بألف، أي يؤثر بحركة قبل الحرف الّذي تراد معرفة مخرجه ليصل بها

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو الرحمان، كتاب العين/ ج1، تر: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، ط1 ،المؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1988،ص55

إلى نطق الحرف فيستقر اللّسان في موضعه فيتبين من ذلك مخرجه"[1]. وهنا الخليل بن أحمد الفراهيدي اعتمد بشكل كبير في تحديده لمخارج الأصوات العربية على همزة الوصل وكانت حجته في ذلك تأكيده على استقرار اللّسان بدخول تلك الهمزة، لكي تحدد الأعضاء التي لا دور لها في أداء وحصول هذا الصوت اللّغوي.

وقد رتّب الخليل معجمه "العين" نسبة إلى الحرف الأول وهو "العين" بحيث اعتمد على ذلك تسلسل مخارج الحروف فيبدأ بحروف الحلق وينتهي بالحروف الشفوية، ثم الهمزة، وحروف العلّة. وجاء على النحو الآتي:

ع ح خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي همزة.

أمّا تلميذه سيبويه فقد خالف أستاذه فيما يخص ترتيب الحروف فقد بدأ ترتيبه بالهمزة والألف والهاء وقدّم الغين على الخاء وأخرّ القاف على الكاف فجاء ترتيبه على النحو التالي:

ء، أ ،هـ/،ع ح غ خ / ك ق/ ض ج ش/ ي ل ر/ ز ط د/ت ص/ ر س ظ/ ذ ث ف/ ب م و / [2]

كما أنّ ابن حني خالف سيبويه في ترتيبه فكان ترتيبيه على الآتي: الهمزة: الألف ،الهاء، العين،الحاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الجيم، السين، الياء،، الضاد، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، الشين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو[3].

[1]– سيبويه، الكتاب، ص7.

[2]– أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر، تقلا الكتاب ،تح، عبد السلام محمد هارون، ج 4 مكتبة الخانجي 1997، ص405.

[3]– ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ص10.

ورغم هذه الاختلافات في ترتيب الأصوات العربية إلاّ أنّ أكثرية علماء العرب يتفقون على أنّها ثمانية عشر صوتا، وقد وقع الخلاف بينهم في عدد مخارجها فعدّ ها بعضهم أربعة عشر مخرجا وبعضهم الأخر ستة عشر مخرجا ولكن معضهم يتفق على كونها سبعة عشر مخرجا.

1 .3 أقسام الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي:

قسّم الخليل الحروف العربية من حيث مواضع النّطق إلى قسمين هما:

القسم الأول: يتمثل في الأصوات الصحيحة وهي حسب الخليل خمسة وعشرون صوتا ولها مخارجها الصوتية الخاصة بها، وبدأه بصوت العين وختمه بالباء والميم وهي: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين ، الضاد، الصاد، السين، الزاي، الطاء، الدال، التاء،الظاء، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم.

القسم الثاني: وسماه الخليل حروف العلّة وعدّها أربعة حروف وهي: الواو، الألف، الياء، الهمزة.

قال الخليل:" حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف يقال لها: جوف الواو، أجوف، ومثله الياء، والألف الليّنة، والهمزة، سميت جوفا"[1].

ويروي الأزهري صاحب التهذيب عن الخليل :" والحروف العربية على نحوين معتل وصحيح..."[2]

1 . 4 صفات الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي:

استطاع القدامى أن يتّبعوا صفات الأصوات اللّغوية بالاعتماد على الملاحظة الفزيولوجية المنطلقة من مبدأ تذوق الحروف على حاسة السّمع، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أوّل وأسبق من

[1]– كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، ط1، 1998،ص 78، ص48.

[2]– كمال بشر، دراسات في علم اللّغة، ص 70.

ذاق الحروف ليتعرّف على مخارجها، وذلك أنه كان يفتح فاه بالهمزة المفتوحة أو المكسور، ويسكن الحرف الّذي يأتي بعده، ثم ينطق أبْ، أثْ، أحْ...الخ ثم يصف الأعضاء الّتي تشارك في النّطق وموضع النّطق وصفته [1] وهي كما يلي:

النوع الأول: وفيه إحدى عشر صفة وكلّ صفة لها ضدّها.

الجهر، الهمس، الرخاوة، الشدة، صفة التوسط، الاستفال، الاستعلاء، الانفتاح ،الإطباق، الإصمات، الإذلاق.

النوع الثاني: عدد صفاته سبعة.

الصفير، القلقلة، الانحراف، الغنّة (الجرس)، المكررة، التفشي، الاستطالة.

وفيما يأتي سنتطرق إلى شرح وتفصيل لهذه الصفات:

. الهمس: هو جريان الهواء عند النّطق بالصوت لضعف الاعتماد على مخرجه. كما يقول ابن جني "أنّه حرف أضعف الاعتماد من موضعه، حتى جرى النفس معه وهي عشر أحرف يجمعها في اللّفظ (حثّه شخص فسكت)..."[2] أما السكاكي يقول: "أنّ الجهر انحصار النّفس في مخرج الحرف، والهمس جزى ذلك فيه[3].

. الجهر: لغة: الإعلان والإظهار.

---

[1]– الخليل، العين، ص 47.

[2]– ابن جني، سر صناعة الإعراب،ص 70.

[3]– كمال بشر، علم الأصوات،ص 177،178.

اصطلاحا: هو انحباس جريان الهواء عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج.وابن جني يقول: "هو حرف أشبع الاعتماد من موضعه، ومنع للنّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت[1]. وعدد أصواته هي تسعة عشر صوتا: العين، الغين، القاف، الجيم، الضاد، الزاي، الطاء، الظاء ، الذال، الراء، اللام، النون، الباء، الميم، الياء، الواو، الألف، الهمزة.

لكن دكتور كمال بشر يقول:" ينبغي أن يدرك القارئ المصطلحين . جهر وهمس . لا يعنيان بحال ما يفهم من دلالتها المعجمية، وهي أن "الجهر" يعني "رفع الصّوت أو إعلان القول"، كما في قوله تعالى:" وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السّر وأخفي" وإنّ "الهمس" في الكلام هو خفاؤه، فلا يكاد يسمع كما في قوله تعالى: " وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلاّ همسا". وإنّما المُعنى بهما في دراسة الأصوات أو في الاصطلاح الصوتي الدقيق هو " مجرد ذبذبة الأوتار في حال الجهر أو انفراجها بحيث يسمح بمرور الهواء دون اعتراض في حالة الهمس"[2].

أمّا "الرضى" فقد حاول في البدء التفريق بين الجهر والهمس بذكر مدلولهما المعجمي الصرفي يقول: " ... والجهر رفع الصوت والهمس إخفاؤه..."[3].

تنقسم أصوات اللّغة وفقا لمسار الهواء في منطقة النّطق إلى قسمين:قسم ينطق بها بإغلاق نقطة المخرج إغلاقا محكما يحبس النفس وراءه ثم ينفجر عنه دفعة واحدة، وذلك عند النطق بالأصوات الشديدة [4].

الشديدة: لغة: وتعني القوة.

---

[1]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص 70.

[2]– كمال بشر، على الأصوات، ص 176.

[3]– المرجع السابق نفسه، ص178.

[4]– رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بن الفصحى واللهجات، ص48.

اصطلاحا: هو انسحاب الهواء عند النّطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج...[1] ويقول ابن جني هو الحرف الّذي يمنع الصّوت من أن يجري فيه، وهي ثمانية أحرف يجمعها في اللّفظ (أجدت طبقك)[2] وهي: الجيم، القاف، الطاء، الباء، الكاف، التاء.

الرخاوة: هي الأصوات الّتي تنطبق فيها نقطتا المخرج انطباقا جزئيا بحيث يسمح لهواء النفس للمرور من خلالها دون انفجار.[3]أما مصطفى حركات يقول: " جريان الهواء عند النّطق بالصوت لضعف الاعتماد على مخرج[4]. وعدد أحرفها هي ستة عشر وهي: الحاء، الهاء، الغين، الخاء، الشين،الضاد، الصاد، السين، الزاي، الذال، الثاء، الفاء، الياء، الواو، الألف.

التوسط: وهي الأصوات الّتي لا هي شديدة ولا هي رخوة إنّها بين الشدة والرخاوة[5] وعدد أصواته خمسة أحرف: النون، العين، اللام، الميم، الراء.

الاستعلاء: لغة: العلو والارتفاع.

اصطلاحا: هو ارتفاع مؤخرة اللّسان نحو الحنك الأعلى عند النّطق.[6]

وعدد أحرفها ستة: القاف، الضاد، الظاء، الخاء، الغين، الطاء. وعلاء محمد جبر يقول:"معنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى وهي: الضاد، الظاء، الصاد، الحاء، الغين، القاف".[7]

---

[1]– مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ط1، بيروت، 1998،ص 55.

[2]–ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص70.

[3]– رمضان عبد الله ، أصوات اللغة العربية تبين الفصحى واللهجات، ص 48.

[4]– مصطفى حركات الصوتيات والفونولوجيا، ص 55.

[5]– المرجع السابق نفسه، ص55.

[6]– أبو عبد الرحمان جمال إبراهيم، دراسة علم التجويد، ط2، دار ابن الجني، سنة 1425 هـ، ص 214.

[7]– علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 2006،ص70.

الاستفال: وهو نزول مؤخر اللّسان في قاع الفم [1]، وعدد أصواته ثلاثة وعشرون حرفا: العين، الحاء، الهاء، الكاف، الجيم، الشين، الصاد، السين، الزاي، التاء، الدال، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، الياء، الواو، الألف، الهمزة.

الإطباق: لغة: الإلصاق.

اصطلاحا: إطباق اللّسان على الحنك الأعلى عند النّطق بأصواته، بحيث ينحصر الصوت بينهما[2].وابن جني يقول: "هو الحرف الذي يرتفع فيه ظهر اللسان، الحنك الأعلى "[3]. وعدد أصواته أربعة وهي: الضاد الضاد والطاء، الصاد، الظاء.

الانفتاح: هو افتراق اللّسان عن الحنك الأعلى عند النّطق بالصّوت وهو نزول مؤخر اللّسان إلى قاع الفم وهي كل الحروف ما عاد (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء).

الإذلاق: لغة: حدّة اللّسان وبلاغته وطلاقته.

اصطلاحا: سرعة النّطق بالحرف لخروجه من طرف اللّسان أو من طرف إحدى الشفتين أو منهما معا[4].وسميت بهذا الاسم لأنه يعتمد عليها بذلق اللّسان وهو صدره وطرفه، وعدد أحرفها ستة أحرف: الفاء، الميم، الراء، النون، اللام، الباء.

الإصمات :لغة: المنع.

---

[1]– المرجع نفسه،ص70.

[2]– مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ص 102.

[3]– ابن جنّي ، سر صناعة الإعراب، ص 25.

[4]– المرجع السابق نفسه، ص701.

اصطلاحا: عدم سرعة النّطق بالحرف ولثقله وخروجه بعيدا عن ذلق اللّسان عدد حروفه ثلاثة وعشرون حرفا وهي: العين، الحاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، السين، الزاي، التاء، الدال، الذال، الثاء، الياء، الواو، الألف، الهمزة، الصاد، الطاء، الظاء، الضاد.

الصفير: صوت زائد يخرج من بين الثنايا وطرف اللّسان عند النّطق بأحد حروفه، وعدد أحرفه هي ثلاثة أحرف: الصاد، الزاي، السين.

القلقلة: وهي الّتي تجمع بين الشدّة والجهر، وهي اضطراب الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية[1].

الانحراف : لغة: الميل والعدول.

اصطلاحا: الميل بالحرف بعد خروجه من مخرجه عند النّطق حتى يتصل بمخرج أخر[2]. يقول ابن جني: " ومن الحروف حرف منحرف لأنّ اللّسان ينحرف فيه مع الصّوت [3]. وعدد أحرفه هي حرفين وهما: اللام، الراء. وقد قال الخليل:" ...ولم ينحرف عن ظهر اللّسان انحراف الراء واللام، النون"[4].

الغنّة: صوت مركب في جسم النون الميم في كل الأحوال.وعلاء محمد جبر يقول: "إنّما تخرجه من أنفك واللّسان لازم لموضع الحرف [5].وعدد أحرفها حرفين وهما: الميم، النون.

---

[1]– الخليل، العين، ص 107.

[2]– نور الهدى لوشين، مباحث في علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، النشر، المكتبة الجامعية، الأزرابطة ، الإسكندرية،2000 ، ص 117.

[3]– ابن جني، سر صناعة الإعراب،ص 73.

[4]– الخليل، العين، ج1، ص52.

[5] –علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب ،ص 69.

التكرير:لغة: اهتزاز رأس اللّسان عند النّطق بالصوت وللتكرار صوت واحد وهو: الراء.

اصطلاحا: اهتزاز رأس اللّسان عند النطق بالصوت

التفشي: ريح زائد ينتشر في الفم، وعند النّطق بالصوت يخرج بين اللّسان والحنك الأعلى.[1]

وجاء في كتاب "العين" للخليل: (فشا الشّيء يفشوا فشوّا إذا ظهر... ومنه فشّا السرّ أي انتشر... والتّفشّي التّوسّع وفشا وتفشّى توسّع وكثر ظهره[2]، وعدد حروفه هي: حرف واحد وهو الشين.

الاستطالة: لغة: الامتداد.

اصطلاحا: امتداد الصّوت من أوّل إحدى حافتي اللّسان إلى آخره.[3] ويراد بها أن يطيل مخرج الصوت فيتّصل بمخرج صوت آخر[4]. وعدد أحرفها حرف واحد وهو الضاد.

[1]– أبو عبد الرحمان جمال إبراهيم، دراسة علم التجريد، ص 227.

[2]– الخليل، العين، ج6، ص 289.

[3] أبو عبد الرحمان جمال إبراهيم ، دراسة علم التجويد، ص 230

[4]– علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب ،ص66 .

المبحث الثالث:

الدّرس الصوتي عند العرب المحدثين

توطئة:

لا تكاد تغدو اللّغة في مظهرها أن تكون أصوات إنسانية، تغزوا عالم الأصوات اللّغوية بحيث يصفها كما يشرح لنا كيفية صدورها، وأعضاء النّطق الّتي تساهم في إخراجها وقد استطاع المحدثون بعد تجارب كثيرة ودراسات عميقة أن يجمعوا لنا الكثرة من تلك الأصوات الإنسانية، وأن يصفوها وصفا دقيقا وهكذا حاولوا البحث في الصّوت اللّغوي والبحث أيضا في جوهره .

إذا ما جمعنا كل هذه الأصوات الّتي توصلوا إليها لوجدنا قدرا مشتركا منها بين معظم اللغات. مع أنّ هذا القدر المشترك بين لغات البشر كبير، لا ندري أيّ صلة عقلية بينه وبين التفكير الإنساني العام، أو بتغيير مغاير بينه وبين المنطق ولا نكاد نعرف الأساس العقلي الّذي أدى إلى اشتراك : الميم، والفاء، والياء، والذال، والتاء، والدال، والزاي، غير ذلك من الأصوات اللّغوية في كلام واستعمال معظم الناس مهما اختلفت بيئاتهم، وتعددت لغاتهم، بطبيعة الحال هناك فروقا دقيقة جدا بين نطق بعض الأصوات المشتركة في البيئات المختلفة .

فالفرنسي مثلا تختلف تاؤه (T) عن تاء الإنجليزي اختلافا يسيرا يتعرف عليه عالم الأصوات لكن رغم هذا تبق تاء، رغم اختلاف نطقها من منطقة لأخرى وبل حتى تلك الأصوات الغريزية الّتي يبدأ بها الطفل من مناغاته كالميم والباء، والّتي فسّرها اللّغويون على أنّها مرتبطة بعملية الرضاعة، ولاحظوا تبعا لهذا اشتراك كلمات قديمة بعيدة في القدم بين جميع اللّغات، أساسها الميم أو الياء وتعبر عن الأبوة والأمومة ولا ندري حتى لماذا اتخذت معظم اللّغات صوت الباء تعبيرا عن الأبوة ؟و صوت الميم معبرا عن الأمومة .[1]إذن ليست الصلة بين هذه الأصوات ومدلولاتها القديمة بالصلة العقلية المنطقية، و إنّما مرجعها إلى ظروف اجتماعية خاصة برزت اختصاص الأبوة بصوت والأمومة بصوت آخر. فلماذا استقرت تلك الكلمات في اللّغات البشرية القديمة؟.

[1]– إبراهيم أنيس ، من أسرار اللّغة العربية ، مطبعة محمد عبد الكريم حسان ،مكتبة الأنجلو المصرية ط 2 ،2003 ،ص 119.

نرى أنّ الأصوات الإنسانية لا تكاد تخضع لنظام عقلي منطقي في تكوينها وصدورها والنّطق بها.كما أنّ ذلك الفرع من البحوث اللغوية الذي يسميه الأوروبيين "الفونتيك" لا يكاد يمدّ للمنطق العام صلة .[2]مع أنّ اللّغات تستخدم الجهاز النّطقي بشكل متشابه، إلاّ أنّها تختلف في انتقاء الأصوات لاختلافها في اختيار مخارج الأصوات وتصنيفها وتركيبها إذ تبقى لكلّ لغة وحداتها الصوتية التي تتألف منها ونظامها الصّوتي الّذي يميزها عن غيرها من اللّغات، فلكل لغة نظام صوتي، صرفي نحوي ودلالي معين فإنّ اللّغة في النهاية مجموعة من الأنظمة بحيث يعمل كل نظام منها مع غيره في آن واحد [3].

وإذا كان الدّرس اللّغوي الحديث قد صنفت مجالاته ليختص كل منها بدراسة مستقلة للأصوات أو الصيغ أو القواعد أو الدلالة، فإنه قد وجه اهتمامه إلى الأصوات الّتي تتألف منها اللّغة باعتبارها منطوقة في الأساس أمّا اللّغة المكتوبة فهي ثانوية، فقد تعلّمنا جميعا الكلام قبل الكتابة فلا يمكن أن نجد مجتمعا له لغة مكتوبة ولا تنطق فمن المستحيل هذا [4].

1 . الصّوت اللّغوي عند المحدثين

عندما كانت اللّغة أهمّ نشاط إنساني يحيا فيها الماضي والحاضر، وتبدي في مرآته المستقبل، فإنّ أهمّ ما يهدف إليه الدّرس اللّغوي هو فهم حركة اللّغة، حتى يمكن التنبؤ بحركتها في المستقبل، ومن أجل ذلك كان هذا البحث لدراسة الأصوات العربية وتطورها و المنهج التّاريخي لتتبع هذه الأصوات وهذا ما انتهى إليه حتى علماء اللّغة المعاصرين الّذين بحثوا في الأصوات اللّغوية.

فقد حظي الدّرس الصّوتي بقسط عظيم من اهتمام المحدثين، وظهرت بوادر ذلك في الربع الأول من القرن التاسع عشر، ويبدوا أنّ الأثر لهذه الدراسة العربية للأصوات لم ينتقل إلى المكتبة العربية

---

[2]– المرجع السابق نفسه، ص 120.

[3]– رمضان عبد الله، أصوات في اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات، ص 5

[4]– المرجع نفسه ،ص 7.

إلاّ بعد مرور ما يزيد عن قرون من الزمان، إذ بدأت تظهر إشارات لدراسة الأصوات بعد الربع الأول من القرن العشرين.[5]

لكن قبل أن نذهب إلى الصّوت لدى المحدثين نجد أنّ معظم دراساتهم تصب في مصطلحين والّتي هي في مجملها ترجمة للمصطلحات الغربية "الفونيتيكا" أي علم الأصوات اللغوية و "الفونولوجيا" أي علم وظائف الأصوات اللّغوية.

ورد تعريف الصّوت اللّغوي لدى كمال بشر على النحو التّالي "الصّوت اللّغوي أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسمّاة تجاوزا أعضاء النّطق والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدّلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفمّ بأعضائه المختلفة"[6].

نفهم من هذا التّعريف أنّ الصّوت اللّغوي ظاهرة ترتبط في وجودها بالجانب السمعي أي المتلقي، وفي هذه إشارة إلى عنصرين من عناصر دائرة الكلام، والمهمّان في العملية الكلامية وهما المرسل(المتكلم) والمتلقي(السامع)، كما أشار كما بشر في تعريفه إلى كون مصطلح أعضاء النطق مصطلح مجازي وذلك لكون الوظيفة الأساسية والجوهرية لتلك الأعضاء هي وظيفة حيوية وهي التنفس وإنّ الصّوت عبارة عن حركة يعبّر عنها بذبذبات معدّلة وموائمة تختلف باختلاف حركات تلك الأعضاء فحركة الفمّ أثناء الضمّ والكسر ليست واحدة.

فالهواء هو الوسط الّذي تنتقل من خلاله في معظم الحالات، فخلاله تنتقل الذبذبات من مصدر الصوت وأذن السامع[7]. نفهم من هذا التعريف أنّ الهواء شرط أساسي لحدوث العملية النطقية أو الكلامية بين المتكلم والسامع.

1 . 1 فرعا علم الأصوات:

[5] – رمضان عبد الله ، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 20.

[6] – كمال بشر،علم الأصوات ، ص 123.

[7] – المرجع السابق نفسه ص 124.

لا خلاف على أنّ علم الأصوات هو ذلك العلم الّذي يدرس أصوات اللّغة دراسة علمية، وهو أحد جوانب الدّرس اللّغوي الحديث الّذي تتدرج تحته دراسة اللّغة في أربعة مستويات (الصوتي، الصرفي، النحوي، والدّلالي) بيد أنّ هناك مصطلحين أجنبيين يطلقان على علم الأصوات بينهما بعض التداخل والخلط، مع العلم أنّهما قد تناولا الصّوت من منظورين هامين أساسين يندرجان تحت المصطلحات التالية:

الفوناتيك" أي علم الأصوات اللّغوية و"الفونولوجيا" علم وظائف الأصوات اللّغوية، ويبحث كلاهما في الأصوات اللّغة، وإن اختلفت أساليب البحث وجوانبه في كلّ منهما بحسب وجهات نظر الدارسين وزّعت الدّراسة الصّوتية على هذين الفرعين اللّذان أخذا تسميتا "الفونيتيك" و "الفونولوجيا" بطريقة التعريب لا الترجمة وذلك قصد الدّقة والتعبير[8]. و"الفونتيك" عند مقابلته بـ"الفونولوجيا" يصبح ذا مدلول ضيق نسبيا. فيقول كما بشر: "ولهذا السبب رأينا أن نعرب المصطلح إلى "فونتيك" لا أن نترجمه لأنّ ترجمته إلى علم الأصوات في سياق المقابلة بينه وبين "الفونولوجيا" قد تؤدي إلى اللّبس".[9]

ورد تعريف المصطلحين في كتاب عصام نور الدين "علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا" كالتالي:

–الفونيتيكا: هو العلم الذي يدرس مادة الصوت.

–الفونولوجية: يدرس الصّوت الإنساني في تركيب الكلام ودوره في الدّراسات الصرفية والنّحوية والدّلالية في لغة معينة.[10]

حاول المحدثون التفريق بين "الفونتيك" و "الفونولوجية" وذلك نتيجة لتقدم البحث في الأصوات، عندما أدركوا أنّ الصّوت الواحد ذو صور نطقية عدّة. فالفصل بين العلمين (الفونتيك والفونولوجيا) يطابق التفريق بين جانبي الكلام الإنساني واللغة المعينة.

[8] – كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 66/65.

[9] – المرجع نفسه ، ص 67.

[10]– عصام نور الدين ، علم الأصوات اللّغوية ،الفونيتيكا، ص 24.

1 . 2 المصطلح الصوتي عند إبراهيم أنيس:

لقد أثبت علماء الصّوت بتجارب عديدة أنّ كل صّوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتّز كما أثبتوا أيضا أنّ هزات مصدر الصّوت تنتقل في وسط غازي أوسائل أو صلب حتى يصل إلى الأذن الإنسانية[11]الهواء هو الوسط الّذي تنتقل خلاله الهزّات في معظم الحالات، فمن خلاله تنتقل الهزّات من مصدر الصّوت في شكل موجات حتى تصل إلى الأذن وسرعة الصّوت كما قدّرها العلماء حوالي 332 مترا في الثانية، وتتوقف شدّة الصّوت أو ارتفاعه على بعد الأذن من مصدر الصوت، فكلما قرب الأذن من الصّوت كلما كان أكثر وضوحا وسمعا. درجة الصوت هي المقياس الموسيقي الّذي يدركه من له إلمام بفن الموسيقى، ويقسم السلم الموسيقى إلى درجات و هي ما يرمز في الموسيقى الأوروبية بالرموز التالية:

سي لا صول فا مي ري دو

SI LA SOL FA MI RE DO

فدرجة الصوت كما برهن عليها علماء الأصوات تتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية، فإذا زادت الاهتزازات أو الذبذبات على عدد خاص ازداد الصوت حدّة.[12] أمّا مفهوم الصّوت عند إبراهيم أنيس هو انّه صوت ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فتحدث تلك الاهتزازات الّتي بعد صدورها من الفمّ أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن[13].

[11]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 10.

[12] – المرجع السابق نفسه، ص 12.

[13] – المرجع نفسه، ص 14.

ويبرز إبراهيم أنيس أنّ لكلّ إنسان صفة صوتية خاصة تميز صوته عن صوت غيره من الناس، فهو أي الصوت متعدد الشدّة والدّرجة وحتى عند نفس الإنسان نرى أنّه تتغير درجة الصوت من مقطع لآخر، ويبين كذلك أنّ مصدر الصوت عند الإنسان الحنجرة أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان. فاهتزازات هذين الوترين هي الّتي تنطلق من الفمّ أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي وتشكل لنا ما يسمى بالصوت كما أنّ لعامل الجنس أثر في تغير درجة الصوت فالأطفال والنّساء أحدّ أصوات من الرّجال، وهذا راجع إلى أنّ الوترين الصوتيين عند الأطفال والنّساء أقصر وأقلّ ضخامة وأنّ الطّفل حين يصل إلى سن البلوغ يتضخم وتراه الصوتيان فجأة ويترتب عن هذا عمق صوته بحيث يكاد يقترب من صوت الرّجل ثم إنّ صوت الرّجل معرض للتّغيير في درجته بين الخمسين والستين من عمره. وقد تحدث إبراهيم أنيس أيضا عن العوامل الّتي تؤثر في درجات الصّوت الإنساني

وهي كما يلي:

أ. السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين و تحديد نسب ما يندفع منها من النّفس وتنظيم هذا حسب الإرادة.

ب . مرونة عضلات الحنجرة، فعلى قدر هذه المرونة تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونةً كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدّة.

ج . طول الوترين الصوتين بحيث يؤثر في درجة الصوت تأثيرا عكسيا، بمعنى أنّه كلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات وترتب على قلّتها عمق الصوت، حتى يصل في بعض الحالات إلى ما يسميه الموسيقيون بالقران.

د . نسبة شدّة الوترين بحيث يؤثر تأثيرا مطردا في درجة الصوت، فالصوت المنبعث من ذبذبة الوترين مشدودين شدّا محكما فيكون الصوت حادا مثل المغنيات، في حين أن غلظ الوترين في الرّجال يقلل من

نسبة لهذا التوتر، مما يجعل درجة الصوت عند الرّجال عميقة لأنّ عدد الذبذبات أقل.[14] وأضاف أيضا إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللغوية" أنّ شدّة الصّوت الإنساني تتوقف إلى حد كبير على سعة الرئتين، ونسبة ضغط الهواء المندفع منهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى الفراغات المضخمة للصوت الّتي يمر خلالها الهواء بعد الحنجرة، فالفراغ الموجود في الحلق والفمّ والأنف تساهم في تضخيم الصوت ومنحه صفته الخاصة وبهذه الصفة يتميز عن غيره من الأصوات الأخرى.[15] فإبراهيم أنيس لم يتحدث فقط عن الصّوت وبل تحدث أيضا عن أهمية السّمع في إدراك الصّوت اللّغوي بحيث تصدر الأصوات من الإنسان فتُنقل من الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية، ومنها إلى المخ وبعدها تترجم هناك وتفسر، فالسّمع عنده هي الحاسة الطبيعية الّتي لا يمكن الاستغناء عنها لفهم تلك الأصوات.

فجعل هذه الحاسة (السّمع) أقوى من الحواس الأخرى وأكثر نفعًا للإنسان فجعل حاسة السمع تفوق حاسة النظر بالألف فتحدث عن مزايا السمع والّتي هي:

– إنّ إدراك الأصوات اللّغوية عن طريق السمع يدع سائر الأعضاء حرّة طليقة فرأى أنّ هذه الميزة مهمة جدا لأنّ الإنسان ينتفع بها وذلك أنّه بإمكانه أن يعبّر عن ما يختلف في النفس من شعور دون الحاجة إلى حاسة النظر.

– الميزة الثانية هي أنّ السّمع يدرك عبر مسافة مقدرة وأمّا حاسة النظر فلا، ولأنّ الصّوت قد ينتقل ضد التيارات الهوائية.

–للسّمع ميزة هامة وهي أنّه يمكننا أن نستغل حاسة السّمع ليل نهار، في الظلام والنور، في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلاّ في النور.

---

[14] – المرجع السابق نفسه، ص 13.

[15] – المرجع نفسه ،ص 14.

الميزة الأخيرة هي أنّ أخيرا يمكننا أن ندرك المقاطع الصوتية والّتي نسميها كلاما أفكارا أرقى وأسمى مما قد يدرك النظر الّذي مهما عبرنا و فلسفنا يبقى المعنى غامضا لاهيك عن الشعراء الذين يتقنون التعبير والخيال.[16]ربط إبراهيم أنيس بين الصّوت والسّمع والأداة الّتي يسمع بها الصّوت وهي الأذن وهذه الأداة معقدة التركيب بحيث يقسمها علماء التشريح إلى ثلاثة أقسام: الأذن الخارجية وتتركب من صيوان الأذن وصماخها ،وتنتهي الأذن الخارجية بما يسمى عادة بطبلة الأذن، ثم يلي هذا الأذن الوسطى والّتي فيها عظيمات ثلاث صغيرة تسمى عادة بالمطرقة والرّكاب وأما الأذن الداخلية ففيها أعضاء السّمع الحقيقة لانتشار العصب السّمعي بأجزائها فالصّوت عندما يحدث تموّجات في الهواء الخارجي يستقبلها الصيوان ثمّ تمر في القناة الخارجية للسّمع إلى أن تصل إلى الغشاء الطبلي، فيهتز اهتزازات مناسبة لتلك التموجات لتصل إلى الأذن الداخلية بواسطة العظيمات، الثلاث ثم تسري هذه الاهتزازات في السائل التيهي وتحدث فيه تموجات مناسبة لها، فتبدأ أطرف الأعصاب المغموسة فيه و تنتقل هذه الأعصاب ما تشعر به أطرافها إلى المراكز السمعية في المخ وعند ذلك تدرك الأصوات المختلفة[17]. وهكذا ربط الدكتور أنيس بين هذا الصوت الجوهري وبين السّمع الّذي هو الجهاز الأساسي لإدراك هذا الصوت.

1 . 3 الدراسة التركيبية للصوت:

هذه الدراسة تعني بدراسة الصوت التركيبي وسنذكر أهم عناصرها :

. الفونيم:

مدخل تاريخي: يرد بعضهم أنّ أولى التصورات لنظرية الفونيم تعود إلى زمن بعيد حين اهتدى الإنسان إلى الكتابة الألفبائية الّتي لا ترمز للكلمة ككل، ولا للمقطع ككل وإنّما للأصوات الّتي تشكل الكلمات.

[16] –المرجع السابق نفسه، ص 19.

[17] – المرجع نفسه ، ص 22.

وأوّل من استخدم مصطلح "الفونيم" هو "فريش دسجنتس" في اجتماع الجمعية اللّغوية الفرنسية عام 1873م [18].

مفهوم الفونيم: يقول أحمد مختار عمر في كتابه "دراسة الصوت اللغوي" أنّه أصغر الوحدات الّتي شعر بها، وأنّها غير قابلة للتقسيم أكثر عن طريق الشعور اللّغوي [19]. ويعرّفه سابير: "الفونيم صوت مثالي، نحاول تقليده في النّطق ولكننا نفشل في إنتاجه تاما كما نريد أو بنفس الصورة الّتي نسمعها بها " [20]. وهناك مصطلح الألوفون الّذي هو مجرد تنوعات في طريقة تأدية الفونيم ذاته، ومن خلال هذا نجد الاختلاف الحاصل بين مصطلح الفونيم الّذي هو عبارة عن وحدة صوتية قائمة بذاتها وبين مصطلح الألوفون.

أنواع الفونيمات : لقد بحث علماء الصّوت المحدثين في مبحث الفونيمات وتأثروا بالدّراسات الغربية فقسموها إلى نوعين من الدراسات وهي كالتالي :

أ . **الفونيمات التركيبية:** وتتمثل في الصوامت والحركات والّتي تمثل العناصر المكونة للتركيب الصوتي للّغة[21] .

ب . الفونيمات غير التركيبية : وهي تلك الظواهر الصّوتية كالنبر والتنغيم، وفيما يخص دراسات الفونيمات التركيبية فإنّ المحدثين العرب اهتموا بها كثيرا، وقد رأينا كيف تمت دراسة الأصوات بحسب المخارج وطرق تصنيفها. أمّا النوع الثاني من الدّراسة الفونيمات أي ما يسمى بالفونيمات غير التركيبية والّتي تتمثل في النبر والتنغيم.

. المقطع:

---

[18] – أحمد محتار عمر ، دراسة الصّوت اللّغوي ، ص 174.

[19] – المرجع نفسه ، ص 175.

[20] – المرجع نفسه ، ص 175.

[21] – أحمد محمد قدّور ،مبادئ اللّسانيات ،دار الفكر المعاصر ،دمشق ،ط 1 ،1996 ،ص 15.

يحتاج الباحث إلى تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية الّتي تُبنى عليها في بعض الأحيان الأوزان الشعرية، والمقاطع الصوتية نوعان متحرك وساكن. فالمقطع المتحرك هو الّذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أمّا المقطع الساكن فهو الّذي ينتهي بصوت ساكن[22]. فيعرّفه أحمد محمد قدّور كالتالي: " يمثل المقطع درجة أعلى من الفونيم في سلم الوحدات الصوتية الفونولوجية، لأنّ المقطع مكوّن من فونيمات مرتبة ترتيبا معين، حسب كل لغة، والمقطع من هذه الوجهة شكل من أشكال تجمع الفونيمات، وتوزعها في الكلام بين صامت وصائت" [23]. ويرى أحمد مختار عمر أنّ المقطع هو الوحدة الصغرى لأنّه يرفض تقسيم الكمّ المتّصل إلى أصوات لأنّ الأصوات في رأيه ليس لها وجود مستقل في الكلام[24].

. أنواع المقاطع: في اللّغة العربية خمسة مقاطع تتمثل:

أ . صامت + صائت قصير

ب . صامت + صائت طويل

ج . صامت + صائت قصير + صامت

د . صامت + صائت طويل + صامت

و. صامت+صائت قصير+ صامت + صامت

ويكشف إبراهيم أنيس أنّ المقاطع الثلاثة الأولى هي الشائعة والأكثر تناولا في الكلام العربي.

---

[22] – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ، ص 87.

[23] – أحمد محمد قدّور ،مبادئ في اللّسانيات ،ص 109.

[24] – أحمد مختار عمر ،دراسة الصّوت اللّغوي ،ص 151.

1 . 4 الظواهر الصوتية عند المحدثين:

لقد تعرض المحدثون ومن بينهم إبراهيم أنيس في دراساتهم إلى هذا البحث وسنعرض فيما يلي الأهم منها:

1. النبر: هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد[25]، فعند النّطق بمقطع منبور نلاحظ أنّ جميع أعضاء النّطق تنشط غاية النشط، ولكن حين النّطق بالصوت غير المنبور نلاحظ فتورا في أعضاء النطق، وينتج على كلّ هذا الخمول في عضلات النّطق قلّة وضوح الصّوت في السّمع فيصعب تمييزه من مسافة عندها يمكن تمييز الصوت المنبور، بحيث تختلف اللّغات عادة في موضع نبر الكلمة، ونطق اللّغة لا يكون صحيحا إلاّ إذا روى فيه موضع النبر[26]، وموضع النّبر غالبا في الكلمات العربية هو المقطع الذي قبل الأخير[27]، لكن هناك موضع رابع للنّبر العربي، وإن كان نادرا وهو حين تكون المقاطع الثلاثة الّتي قبل الأخير في الكلمة من النوع الأول فهنا يكون النبر على المقطع الرابع[28].

. التغنيم: هو إعطاء الكلام نغمات معينة تنتج من اختلاف درجة الصوت وتتحدد درجته وفق عدد الذبذبات الّتي يولدها الوتران الصوتيان ويفّرق بعض الدراسيين بين نوعين من اختلاف درجة الصوت وهما[29]:

. النغمة: وهو الأثر الناتج من ازدياد عدد الذبذبات وانخفاضها على صعيد الجملة.

. التنغيم: أي اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة.

---

[25] – المرجع السابق نفسه، ص 97.

[26] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 98.

[27] – المرجع نفسه ،ص 98.

[28] – المرجع نفسه ، ص 100.

[29] – المرجع السابق نفسه، ص 103.

ومن هذا التعريف نستنتج أنّ التنغيم والنغمة يعنيان ذلك اللّحن المعين الّذي يرفق الكلام.

. المماثلة: تتأثر الأصوات اللّغوية بعضها ببعض في المتّصل من الكلام فحين ينطق المرء بلغته نطقا طبيعيا لا تكف فيه، والمماثلة هي عادة التوافق والانسجام إلى عناصره المتنافرة[30]. وللمماثلة أنواع تتمثل في:

أ. الجهر والهمس: إذا التقى صوت مهموس بصوت مجهور قلب أحدهما إلى نضير الآخر، فحين نصوغ "افتعل" من فعل فاؤه صوت مجهور، نلحظ أنّ "تاء" افتعل المهموسة تقلب إلى نظيرها المجهور وهو الدّال ليجتمع في صيغة صوتان مجهوران وهذا يحدث في الأفعال الّتي فاؤها (دال، ذال، الزاي)، ولكن ليس مقصورا فقط على الأفعال الّتي فاؤها تلك الحروف فقط بل إنّ القاعدة يمكن أن تطبق في كل فعل فاؤها صوت مجهور [31] .

ب . انتقال مجرى الهواء من الفمّ إلى الأنف والعكس: هناك نوعان من الأصوات، هناك ما يتخذ الهواء مجراه حين النّطق بها خلال الفمّ وهناك ما يتخذ الهواء بها مجراه من الأنف كالنون و الميم [32] يمكن أن ينتقل الصّوت من النوع الأول إلى نظيره من النوع الثاني وذلك تحت تأثير الحروف اللغوية الخاصة.

ج . انتقال مخرج الصوت: أي انتقال الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر[33].

د . تغيير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة أو العكس: وفي الغالب يصحب هذا التأثير عادة الإدغام.

هـ . الإدغام: قد يترتب على تجاوز صوتين متجانسين أو متقاربين حيث أحدهما يفني في الآخر والإدغام نوعان [34].

---

[30] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 106.

[31] – المرجع نفسه،ص 112.

[32] – المرجع نفسه، ص 113.

[33] – المرجعا السابق نفسه ،ص 114.

. إدغام قصير: وفيه يتحقق مجاورة الصوتين المتجانسين أو المتقاربين.

. **إدغام كبير:** وفيه يفصل بين الصوتين المتجانسين.

4. المخالفة: هي أنّ الكلمة قد تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين وكثيرا من الكلمات الّتي تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة مدغمين في غالب الأحيان حيث يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين- وهو الغالب- أو أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان وعادة اللام والنون.

1 . 5 الصوامت والصوائت عند المحدثين:

الدّراسة الصّوتية من أهم المجالات الّتي تعمق فيها القدامى، ولا ننسى المحدثين في المجهودات الّتي بذلوها خدمة للّغة العربية معتمدين في ذلك على الذوق والحس المرهف، فكانت معظم بحوثهم أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحث المتقدم، ومن أهم الظواهر الّتي تطرق إليها المحدثون في دراساتهم الصوتية تفصيلهم بين الصوامت و االصوائت.

أ . **تعريف الصامت (الحروف الساكنة) والصائت (حروف العلّة و اللّين) :**

يرى علماء الأصوات أنّ الصامت أي الحرف الساكن الصحيح له نطق محدد ينتج بقدر كبير من التوتر و الاحتكاك بخلاف الصائت أي حروف العلّة و اللّين الذي هو عبارة عن صوت مجهور يخرج مع الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق و الفم مع تغيير يسير لوضع اللسا)ن و مجرى الفم و شكله أحيانا ،غير أنه لا يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية الأخرى تدخلا يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا[35]. وترتب على اختلاف كيفية مرور الهواء الصاعد من الرئتين عبر القصبة الهوائية و التجويف الحنجري في حالتي النطق بكل من المجموعتين(الصوامت و الصوائت) فالحروف

---

[34] – المرجع نفسه، ص 116.

[35]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1981، ص 26.

الصحيحة تختلف عن حروف العلّة و اللّين فالحروف الساكنة الصحيحة أي (الصوامت) لها مخارج ثابتة ومحددة في الجهاز النطقي دون حروف العلة واللين(الصوائت)التي هي عبارة عن أصوات متصاحبة عن هواء النفس الخارج من الجوف وتنفرد حروف العلّة واللّين (الصوائت) عند علماء الأصوات المحدثين بميزة الوضوح السمعي حيث تسمع من مسافة عندها قد تخفي حروف الاستمرار وهي بذالك تختلف عن الحروف الساكنة الصحيحة (الصوامت) الّتي هي عبارة عن ضوضاء ناتجة عن الاحتكاك. نستنتج من هذا التعريف أنّ الحروف اللينة وحروف العلّة سهلة على الجهاز النّطقي أي أنّ المتكلم لا يبذل مجهودات حتى يقوم بالنطق، كما نلمس أيضا عنه السهولة في الوصول إلى المعاني إلى ما يريد قوله المتكلم من معاني مختلفة كما تختلف أيضا فيما بينها صعوبة أو سهولة، انفتاحا أو ضيقا، فحروف العلة واللين (الصوائت) المتسعة أوضح من الضيقة أي إنّ الفتحة أوضح وأقل ثقلا من الضمة والكسرة، كما أنّ الحروف الساكنة الصحيحة (الصوامت) ليست جميعها ذات نسبة واحدة في ذالك، بل منها الأثقل كالهمزة[36].

فاللّغويون المحدثون يرجعون هذه الظاهرة إلى عوامل تطور الصوت اللغوي عبر التاريخ ويقول إبراهيم أنيس:" إنّ اللام والميم والنون من الأصوات الساكنة، وهي أكثرها شيوعا في اللغة العربية، وأنّها قد تحولت في مرحلة من مراحل اللغة العربية إلى الياء والواو مثل الرقص والنقص، فلا تقتصر هذه الظاهرة على اللغة العربية بل الباحث المدقق في كلمات اللّغة السامية كالعبرية سيعثر على أمثال هذه الكلمات التي سقناها...، الواو والياء كانتا إذا أحد الأصوات الثلاثة (اللام، النون، الميم) وقد أدت عوامل التطور اللّغوي إلى هذا الانقلاب....، فاللام والميم والنون تكون مجموعة من الأصوات الساكنة وهي أكثرها في اللغة العربية ولا يبعد أن تكون هذه الحقيقة في كل اللّغات السامية[37]. نفهم من قول إبراهيم أنيس أنّ هذه

[36]– المرجع السابق نفسه، ص 28.

[37]– المرجع نفسه، 28.

الظّاهرة سببها الزمن أي أنّ تطور الصّوت اللّغوي عبر التاريخ هو ما أدى إلى هذا الانقلاب. فقد أعطى لهذه الدراسة قسطا وافرا في كتابه "الأصوات اللغوية" حيث تندرج تحت عنوان الأصوات الساكنة وأصوات اللّين فيرى أنّ المحدثين قسموا الأصوات اللغوية إلى قسمين (الأصوات الساكنة) و (أصوات اللّين). أمّا سبب تقسيمهم هذا راجع إلى طبيعة الأصوات لكل، فهناك ميزة أو صفة مشتركة بين الأصوات اللّينة هي أنّه عند النّطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة ثم يذهب بمجراه في الحلق والفم في طريق لا يعترضه شيء[38].

فكيفية مرور الهواء في الحلق دون اعتراض هي الصفة المميزة لأصوات اللين عند إبراهيم أنيس, في حين تحدث عن الأصوات الساكنة(الصوامت) قائلا :" إمّا ينحبس معها الهواء انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذالك الصوت الانفجاري, أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير أو الحفيف"[39]. وما نلاحظه هو أنّ هناك اختلاف ملحوظ في نطق الأصوات الساكنة والأصوات اللّينة، فالأولى أقلّ وضوحا في السّمع من أصوات اللين. "فليست كل أصوات اللّين ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي، بل منها الأوضح فالأصوات اللّينة المتسعة أوضح من الضيقة أي أنّ الفتحة أوضح من الضمة والكسرة، كما أنّ الأصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة بل منها الأوضح أيضا[40]". وهنا يعطي أهمية للوضوح السمعي الّذي يفرق بين الأصوات الساكنة وأصوات اللّين، فتوصلوا إلى نتيجة أنّ اللام، الميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين. وأصوات اللّين هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة، وضمة،وكسرة وكذالك ما سموه بالألف اللينة والواو اللينة و الياء اللينة, و ما عدا هذا فأصوات ساكنة, فأصوات اللين في كل لغة كثيرة الدوران والشيوع, وأي انحراف عن أصول النّطق بها يبعد بنطق المتكلم عن الطريقة المألوفة بين هذه

---

[38]– المرجع نفسه، ص 29 .

[39]– المرجع السابق نفسه، ص 30.

[40]– المرجع نفسه ، ص30.

اللّغة.[41] فنرى أنه يبين أنّ هناك فروق بين أصوات اللين في اللغات بصفة عامة فلا نجد لغة تشترك مع لغة أخرى في هذه الأصوات اللّينة في كيفية النطق وبل أنّ الاختلاف يكمن في اللّغة الواحدة ،أي بين لهجة وأخرى وكذا وضوح أصوات اللين في السمع إذ قيست بالأصوات الساكنة، يجعل أي انحراف في النطق الأول أبين في السمع. ونتيجة هذه الفروق حاول العلماء المحدثين وضع مقاييس عامة للأصوات اللّين لتقاس بها أصوات اللين في كل لغة حتى تنسب إليها، ولم يتخذوا في هذه المقاييس لغة خاصة يجعلونها أسسا، بل اتخذوا تلك المقاييس من عدّة لغات مشهورة، بحيث يندرج تحتها أي صوت لين في أي لغة من اللغات ومتى أمكن للمتكلم إتقان النّطق بهذه المقاييس العامة سهل عليه أن ينسب إليها أصوات اللين في اللّغة الّتي يريد تعلمها. حسب إبراهيم أنيس البروفيسور (دنيال جونز) أول من عني بهذه المقاييس في جامعة لندن إذ استطاع بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة أن يخرج لنا تلك المقاييس العامة للأصوات اللين, وسجلها في أسطوانة وهي الآن في متناول كل من يريد تعلمها[42].

من بين المحدثين الّذين تعرضوا لهذا التقسيم نجد (كمال بشر) حين يقول :"لأصوات اللغة عدة تصنيفها أساسها التصنيف الثنائي المشهورة والمعروف بالمصطلحين: الأول نطلق عليه في حديث الأصوات الصامتة (بالميم) والثاني بالأصوات الصائتة (الهمزة) أو الحركات"[43]، فيرى أن تسميتها بالأصوات الصامتة أفضلها وضوحا من تسميتها بالأصوات الساكنة وذالك لأنّ مصطلح الساكنة في رأيه يؤدي إلى اللّبس وربما يفهمه البعض بالحروف المشكلة بالسكون، أمّا التسمية بالحركات في الدّرس الصوتي عنده مقبولة حتى وإن كان لابدّ بتسميتها بالصائتة. وله كذالك معايير لتصنيف تتعلق بطبيعة الأصوات، وخواصها المميزة لها وبالتركيز في ذلك على معيارين مهمين: الأول وضع الأوتار الصوتية والثاني طريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف عند النّطق بالصوت المعين وبالنظر إلى هاذين

[41]– المرجع نفسه ، ص 31

[42]– المرجع السابق نفسه ، ص 33

[43]– كمال بش، علم الأصوات، ص 147

المعيارين معا وجد أنّ الأوتار الصوتية تكون، غالبا في وضع الذبذبة عند النّطق بالحركات وأنّ الهواء في أثناء النّطق بها يمر حرا طليقا من خلال الحلق والفم[44].

1 . 6 صفات و مخارج الأصوات عند المحدثين:

صفات ومخارج الأصوات من أهمّ المباحث الّتي تعمق فيها المحدثون من علماء الأصوات فعرّفوها بكونها تلك الخصائص الّتي تختص بها الأصوات وما تمتاز بها ومن أهمّ المصطلحات الّتي أطلقوها على الصفات نجد:

الجهر: وهي الصفة الخاصة بالأصوات الّتي تتذبذب الأوتار الصّوتية حال النّطق بها.

الهمس: خاصة بالأصوات الّتي لا تتذبذب الأوتار الصّوتية حال النّطق بها.

الانفجارية: وهذه الصفة تظهر نتيجة توقف الهواء توقفا تاما عند النطق ببعض الأصوات, ثم يزول العائق فجأة فيخرج الصوت منفجرا[45].

الاحتكاكية: وهي صفة خاصة بالأصوات التي يضيق فيها مجرى الهواء ضيقا, يسمح باحتكاك الهواء عند مرور بموضع النطق[46].

الانحراف: انحراف خروج الهواء من مقدمة الفم إلى جانبي اللسان.

التكرار: تحدث هذه الصفة نتيجة تكرار ضربات اللّسان على اللّثة حالة النّطق مثل صوت (الراء).

التفشي: وهي صفة خاصة بصوت السين مبنية على اتساع المسافة الّتي يستحوذ عليها الهواء أثناء النّطق بهذا الصوت (س).

---

[44]– المرجع نفسه، ص 148.

[45]– المرجع السابق نفسه، ص 247.

[46]– المرجع نفسه، ص 297.

الانفتاح: هو وضع اللّسان عند النّطق ببعض الأصوات, حيث ينفتح ما بين اللّسان والحنك الأعلى ويخرج الهواء من بينهما ويكون الجزء الأمامي من اللّسان هو مخرج الصوت, والأصوات الانفتاحية هي جميع الحروف ما عدا حروف الانطباق[47].

الإطباق: هو التصاق اللّسان بالحنك الأعلى آخذا شكلا مقعرا بحيث تكون النقطة الخلفية هي مصدر الصّوت وعرّفه تمام حسان بقوله:" ارتفاع مؤخر اللّسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به على حين يجري النّطق في مخرج آخر غير الطبق "[48]، بحيث تسمى الأصوات الحاملة لهذه الصفة بالمطبقة وحروف الإطباق في العربية (الصاد ،الضاد ،الطاء،الظاء)

التفخيم: هي الصفة الّتي تطلق على الأصوات الغليظة وهي صفة ناتجة عن الاستعلاء والإطباق.

الاستعلاء : هي صفة خاصة بالأصوات التي يتم فيها ارتفاع اللسان إلى الأعلى.

الصفير: هي صفة لبعض الأصوات التي يسمع من خلالها احتكاك يشبه الصفير نتيجة انحصار الصّوت في المخرج وعدم وجود مجرى متسع للخروج.

الغنة: وهي صفة خاصة بصوت الميم والنون.

الذلاقة: وتعني الخفّة في النّطق بحيث تخرج هذه الأصوات بسهولة ويسر.

الإصمات: أما الإصمات هي عكس الذلقية ويعني امتناع الحروف من الانفراد في الكلمات الرباعية والخماسية ويعني أنه ليس في العربية كلمة رباعية أو خماسية ليس فيها أو أكثر من الإذلاق.

الترقيق: وهي عكس التضخيم, و تتصف بها كل أصوات العربية ما عدا أصوات الإطباق والاستعلاء.[49]

الاستفالة: وهي الصفة الّتي يتم فيها انخفاض أقصى اللّسان إلى الأسفل.

---

[47]–نصر الدين بن زروق ، لسانيات عامة، ص 49

[48]– تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط6 ، المغرب ، 1986 ، ص–115

[49]– نصر الدين بن زروق ، لسانيات عامة ، ص 50

الاستطالة: وهي الصفة الّتي تحدث حين يمتد اللّسان من الأسنان إلى وراء الجدار الخلفي للحلق.[50] أما مخارج الأصوات عند هؤلاء (المحدثين) فقد قسموه على النحو التالي:

أ. الأصوات الشفوية:الباء, الميم, الواو.

ب . الأصوات الشفوية الأسنانية: الفاء.

ج . الأصوات الأسنانية: الثاء, الذال, الظاء.

د . الأصوات الأسنانية اللثوية: الدال, الضاد, التاء, الطاء, الزاي, السين, الصاد.

هـ . الأصوات اللثوية:الراء،اللام،النون.

و. الأصوات الغارية :الشين،الجيم ،الياء.

ز. الأصوات الطبقية :الكاف ،الغين ،الخاء.

ح . الأصوات اللهوية: القاف.

ط . الأصوات الحلقية: العين, الحاء.

ي . الأصوات الحنجرية: الهمزة, الهاء.

هذه هي المخارج العشرة للأصوات العربية الّتي يمكن الاطمئنان إليها مع اختلاف بعضها بين وصف القدماء والمحدثين لها، أمّا الخليل فيرى أنّ مخارج الأصوات ثمانية، وسيبويه ستة عشرة مخرجا.[51] أمّا عند الدكتور إبراهيم أنيس فكانت له نظرة خاصة إلى هذه الصفات والمخارج إذ تطرق إليها في كتابه (الأصوات اللغوية) فخصّ بها الأصوات الساكنة، فيقول " إنّ أصوات اللّين مرتبطة بعضها ببعض في حين أن الأصوات الساكنة مستقلة بعضها عن بعض ،و يكون كل منها وحدة قائمة بذاتها تفرق بينها

[50]– تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة ، ص 120

[51] – رمضان عبد الله الأصوات العربية بين الفصحى و اللّهجات ،ص،46 ،47.

المخارج وطريقة النّطق"[52]، إذ يرى أنّه لابد من معالجة الأصوات الساكنة في اللغة العربية حسب مخارجها وكيفية النّطق بها, دون الاشارة إلى مقارنتها بنظائرها في لغات أخرى ودون نسبها إلى مقاييس عامة كما كان الحال في شرح أصوات اللّين العربية[53]، فمخارج الأصوات عنده هي:

أ/ الأصوات الشفوية:و هي عنده الباء و الميم.

ب/ الصوت الشفوي الأسناني: وهو عنده الفاء.

ج/ المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج : الذال ،الثاء ،الظاء ،الدال ،التاء ،الضاد ،الطاء ،اللام ،النون ،الراء ،الزاي ،السين ،الصاد.

أما المجامع الفرعية التي تنقسم إليها هذه المجموعة الكبرى هي: (الدال، الثاء، الظاء) وهي ما اصطلح عليها القدماء بالأصوات اللثوية.[54]

د / أصوات وسط الحنك: (الشين، الجيم).

هـ / أصوات أقصى الحنك: (الكاف، القاف).

و/ الأصوات الحلقية (الغين, الخاء, العين, الحاء, الهاء, الهمزة). أما بنسبة لصفات الأصوات عند هذا اللغوي الحديث يرى أنّ القدماء قد خلطوا بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلق بصوت (الطاء), كما وصفها القدماء فإنها تشبه (الضاد) الحديثة ثم تطور الصوتان فهمست الأولى وأصبحت (الطاء) كما نعرفها الآن, كما اختلف مخرج الثانية وصفتها فأصبحت تلك (الضاد) الحديثة أي ما كان يسمى ب (الطاء) في الحقيقة ذالك الصوت الذي ننطقه به الآن ويسمى (ضادا) فلما همست أصبحت (الطاء) الحديثة الّتي لم تكن معروفة في النّطق العربي القديم.[55] وأطلق صفة الذلقية على كل من (اللام و الراء و النون)بحيث يقول:" ولا شك أنّ المؤلفين القدماء قد أحسوا بالعلات بين هذه الأصوات فجمعوها تحت اسم

---

[52] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية.ص 46

[53]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ،ص 47.

[54]– المرجع السابق نفسه، ص 50

[55]– المرجع نفسه، ص 54

الذلقية، فيرى بأنّها أوضح الأصوات الساكنة في السمع فهي جميعها ليست شديدة أي لا يسمع معها انفجار"[56]. كما أعطى للرّاء صفة التكرار فقال:" والرّاء صوت مكرر لأنّ التقاء طرف اللّسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في أثناء النطق بها, كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا حتى تتكون الراء العربية"[57].

أما صفة الصفير حيث يرى أن مجرى الهواء عند النطق بهذه الأصوات يضيق جدا فتحدث عند النطق بها صفيرا عاليا و الأصوات التي يسمع لها صفيرا واضح في رأي المحدث (ث ،ذ ،ز،س ،ش ،ص ،ظ ،ف)فهذه الأصوات تختلف نسبة صفيرها و أكثرها صفيرا هي (السين،الزاي ،الصاد) و نفهم من قوله هذا أن سبب هذا الصفير في هذه الأصوات راجعا إلى ضيق المجرى عند الصوت.وأماّ صفة الإطباق ينسبها لظاء بحيث يرتفع اللّسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه[58].

1 . 7 تحديد الجهاز النطقي وكيفية حدوث العملية النطقية:

قبل أن نذهب إلى كيفية حدوث النّطق لابد منا أن نتطرق إلى الجهاز النطقي وأن نحاول تحديد مفهومه وأعضاءه فأثبتت الدراسات القديمة أنّ أول من تعرض لجهاز النطق هو الخليل بن أحمد الفراهيدي فشبهه بالناي. وأمّا الصوتيين المحدثين ومنهم كمال بشر فيقول:" ليس من المبالغة في شيء أنّ نقرر أنّ جهاز النّطق هو الإنسان نفسه بكل أجهزته العضوية والبيولوجية والنفسية أيضا ،ذالك أن هذه الأعضاء و الأجهزة كلّها لها دخل في عملية إصدار الكلام بصور مختلفة ،بحسب العضو أو الجهاز المعين ،و قد سئل (هندي) من أين تتكلم ؟فقال من بطني و ذالك أمر مفهوم من وجهة نظر الرجل العادي ،لأن الإنسان عندما يتكلم ويصدر أصواته يصيب هذا العضو نوع ما من الحركة الخفيفة

[56]– المرجع نفسه ، ص 59

[57]–المرجع نفسه–ص 60

[58] –المرجع نفسه، ص 53

التي ربما يغيب الإحساس بها عند بعض الناس [59]". ومن تعريفه هذا نستنتج أنّ جميع أعضاء الإنسان تشكل جهاز النطق وأن هذه الأعضاء تشارك كلها في إنتاج الصوت بصفة مباشرة وغير مباشرة ،وهذا ما نجده عند الدكتورة (روعة محمد ناجي) حيث ترى أنه ليس للإنسان جهاز خاص بالنطق ،فالأعضاء المشاركة في النطق لكل منها وظيفة أساسية.[60]ويرى إبراهيم أنيس أن الجهاز النطقي هو الحنجرة لكونه منشأ الذبذبات فجعل كل من الفم و الحنجرة و الأنف جهاز النطق.[61]أما بالنسبة لتحديد أعضاء النطق هناك العديد ممن عدوة من المحدثين منهم إبراهيم أنيس فيرى أن نظرة واحدة إلى هذا الشكل تكفي لتوضيح أعضاء النطق[62].

[63] – شكل يبين أعضاء النطق

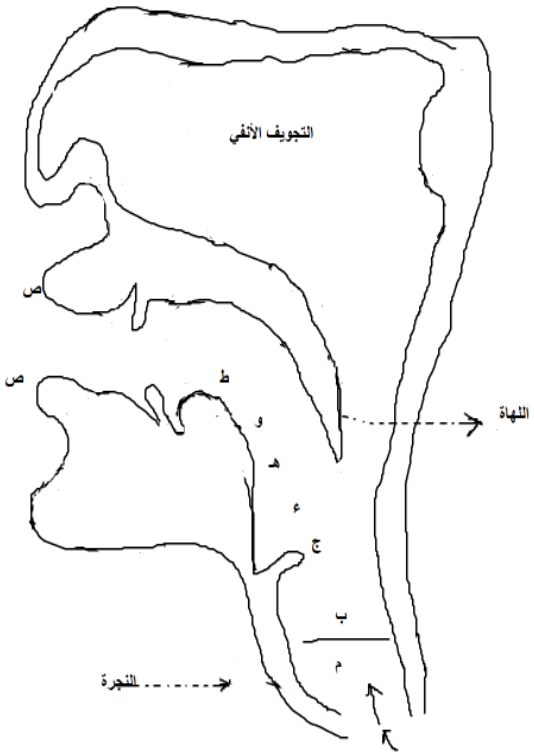

[59]–كمال بشر ، علم الأصوات ، ص 131

[60] –روعة محمد ناجي ، علم الأصوات والأصوات اللّغوية ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، ط1، لبنان ، 2012 ،ص

[61] –إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ، ص 18

[62] –نفس المرجع ، نفس الصفحة

[63] –المرجع السابق ،ص 17

حددها إبراهيم أنيس على النحو التالي:

1. **القصبة الهوائية:** و فيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة.[64]

2 . **الحنجرة:** جعل القدامى و المحدثين الحنجرة الأداة الأساسية للصوت الإنساني فهي تشتمل على الوترين الصوتيين اللذين يهتزان مع معظم الأصوات, و تتكون الحنجرة من ثلاث غضاريف الأول ناقص الاستدارة من الخلف و عريض و بارز من الأمام, و يعرف الجزء البارز بتفاحة آدم أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة, و الثلث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الحلق.[65]

3. الحلق: هو الجزء بين الحنجرة و الفم و هو مخرج الأصوات اللغوية كما يستغل لتضخيم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة.[66]

4. اللسان: يعتبر اللسان عضو هام في عملية النطق لأنه كثير الحركة في الفم عند النطق حيث ينتقل من وضع لآخر حسب نوع الصوت و قد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة:[67]

أ/ أول اللسان ، ب/ وسط اللسان ، ج/ أقصى اللسان.

5. الحنك الأعلى: وهو الوضع الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة، وينقسم الحنك الأعلى إلى عدة أقسام هي: الأسنان، ثم أصولها، ثم وسط الحنك، أو الجزء الصلب منه، ثم أقصى الحنك، أو الجزء اللين منه، ثم اللّهاة.

6. الفراغ الأنفي: وهو الوضع الذي يندفع من خلاله التنفس مع بعض الأصوات كالميم والنون، كما يستغل أيضا كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النّطق.

كيفية حدوث العملية النطقية عند الإنسان:

---

[64]– إبراهيم أنيس ، الأصوات اللّغوية ، ص 17

[65]– المرجع نفسه، ص 18

[66] –المرجع نفسه، ص 19

[67]– المرجع السابق نفسه، ص19.

تحتاج عملية النطق إلى نصف الجسم الإنساني وذالك بشكل مباشر وغير مباشر ويتدخل في هذه العملية جهازان: أولهما الجهاز التنفسي المكون من الرئتين والشعبيات الهوائية والقصبة الهوائية فبدون هذا الجهاز لا تحدث عملية النطق ولا يمكن إنتاج أ ي صوت لغوي.والجهاز الثاني يتمثل في الجهاز النّطقي أو الجهاز الصوتي الذي سبق وأن تطرقنا إليه ويتشكل من الحنجرة والحلق والتجويف الفمي والتجويف الأنفي.[68]

أما كمال بشر يرى في كيفية حدوث العملية النطقية بأنّ جهاز النطق يتكون من أعضاء منتظمة متكاملة، فهي منظومة تفعلها ميكانيكية على درجة عالية من الدّقة والانضباط فمثلا الصوت (ب) شفوي وهذا لا يعني أنّ الشفاه هي الوحيدة المسؤولة في إنتاج هذا الصوت بل يتدخل فيها الهواء والأوتار والرئتين في إنتاج الهواء من (شهيق وزفير)[69].وهناك من يجعل الزفير مقدمة في إنتاج أي صوت لغوي لأنّ الإنسان عندما يستعد للكلام يستنشق الهواء فيمتلأ وبمجرد بدأ الكلام تبدأ عضلات البطن تتقلص قبل البدء في الكلام، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري تدفع الهواء إلى الأعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات، وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة مضبوطة حتى ينتهي الإنسان من الجملة الأولى ومن ثم يستعد الصدر لأخذ الشهيق مرة ثانية استعدادا لنطق الجملة الموالية و هكذا داوليه[70].ومن هنا يمكن أن نرتب هذه الأعضاء المشاركة في العملية النطقية الإنتاج الصوت اللغوي كالتالي:

الهواء	الهواء	الهواء	الهواء	الهواء
الاستنشاق	امتلاء الصدر هواء	تقلّص عضلات البطن	تقلّص عضلات القفص الصدري	الإنتاج

[68] – رمضان عبد الله، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات ، ص 12

[69] – كمال بشر ،علم الأصوات ، ص 132

[70] – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغوي ، ص 112

تقلص عضلات البطن حتى نهاية الكلام.

أما عند إبراهيم أنيس فله دراسة خاصة عن كيفية حدوث النطق ويقول: " إنّ انقباض فتحة المزمار وانبساطها عملية يقوم بها الفرد في أثناء حديثه دون أن يشعر بها في بعض الأحيان، وحين تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار، ولكنّها تظل تسمح بمرور النفس خلالها، فإذا اندفع الهواء خلال الوترين يهتزان اهتزازا منتظما ويحدثان صوتا موسيقيا تختلف درجته حسب سعة الاهتزازة الواحدة وهذا ما يسمى بجهر الصوت وأمّا ذبذبة الوترين الصوتيين في الحنجرة تسمى بالأصوات المجهورة وأمّا الصّوت الّذي لا تهتز منه الأوتار الصوتية بحيث لا يسمع لها رنين حينا النّطق يسمى صوت مهموس[71]".هكذا يحدث الصوت إمّا مهموس أو مجهور ولكن يبقى اندفاع الهواء إلى الرئتين شرط أساسي لبدأ العملية النطقية ومن ثم تتبعها العضلات الأخرى المساهمة في العملية النطقية. وفي حديثنا عن العضلات المشاركة في هذه العملية يبقى لها وظائف أخرى في جسم الإنسان فوظيفة النّطق ما هي إلاّ وظيفة واحدة من وظائف كثيرة تؤديها هذه العضلات.

[71]–إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية ، ص 22

الفصل الثاني:

الجانب التطبيقي

المبحث الأول:

منهجية البحث وأدواته

1. التعريف بالمدونة.

1 .1 المدونة الأولى:

بحثنا هذا يتطلب منّا حضور المدونتين القديمة والحديثة حتى نطبق عليها وأوّل مدونة كتاب "العين"

للخليل بن أحمد الفراهيدي، فيعتبر هذا الكتاب أوّل معجم عرفته اللّغة العربية، حيث جُمعت كلماته بطريقة قائمة على الترتيب الصوتي، فبدأ بالأصوات التي تنطق من الحلق (ع، ح، هـ، خ) وانتهى بالأصوات الّتي تنطق من الشفتين، وأمّا عنوان الكتاب "العين" هو نتيجة أوّل حرف في أبجديته الصوتية. وأشار الخليل في مقدمة هذا الكتاب إلى اهتدائه بعمله الكبير، وهو في هذا العمل المقيّم يصنع البداية الأولى لعلم الأصوات في العربية.

إنّ مقدمة "العين" على إيجازها تمثل أول مادة في علم الأصوات دلّت على أصالة علم الخليل بحيث يعدّ رائده الأول، وفي هذه المقدمة معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما عدا العربية من اللّغات، إلاّ بعد قرون عدّة من عصر الخليل.

لم يرد مصطلح "الصوت" في مادة الخليل الصوتية ولم يكن من مصطلح العلم اللّغوي إلاّ في القرن الرابع الهجري. إنّ كلمة "حرف" تعني في مصطلح الخليل بن أحمد الفراهيدي ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصر الحاضر، حيث قال: " فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحدا في الكتاب المقدّم فهو في ذلك الكتاب" وإنّ قوله " حروف الكلمة" يعني أصواتها ويشير إلى أنّه ضمن مقدمته الّتي دعاها "الكتاب المقدم" هذه المواد الصوتية واللّغوية.

لم يؤلف الخليل كتابه إلاّ بعد تفكير طويل حتى يحصر لغة العرب كلّها فقسّم كتابه إلى أبواب وأوّل باب في هذا الكتاب هو باب "العين" الّذي اتخذ منه عنوان هذا المعجم، ويحتوي على كلمات تتألف مع العين وما يليها. ويليه باب الحاء، يحوي على كلمات تتألف من الحاء وما يليها ثم باب الهاء، ويحوي هو الأخر على كلمات تتألف من الهاء وما يليها، ثم باب الغين كذلك يحوي على الكلمات التي تتألف من الخاء وما يليها، وباب الغين نجده يتألف من كلمات تحوي على الغين وما يليها، وبهذا الباب تنتهي حروف الحلق وتعادل نصف الكتاب. وتبدأ مجموعة اللّهاة وفيها حرفان: القاف، الكاف وانتهى بمجموعة أصوات الحلق ونجد باب القاف يحتوي على الكلمات الّتي تتألف من القاف مع ما يليها وكذالك باب الكاف، وباب الفاء الباء، الميم وانتهى بحروف الصّحاح، فعقد بابا للأحرف المعتلّة وهو آخر أبواب كتاب "العين". والخليل بدأ بالعين لا لأنّها أول الحروف مخرجا، ولكنها أوّل الحروف نصاعة وثباتا، والهمزة عنده أول الحروف مخرجا ولم يبدأ بها لأنّها حرف مضغوط مهتوت إذا رقّه انقلب ألفا أو واو أو ياءا.

يحوي كتاب "العين" على ثمانية أجزاء فكل جزء يكمّل الآخر حيث يهدف هذا المعجم في مضامينه على أن يكون دائرة معارف للغة العرب، وبهذا فقد تضمن شواهد القرآن والحديث والشعر والمثل، كما أنّ المعجم لم يؤلّف لغرض تسجيل لغة البداوة ولكنّه أُلِّف ليسجل التطور الحاصل في اللّغة بالاختلاط الاجتماعي وتبدُّل البيئة وظهور المستجدات الّتي اقتضت ظهور ألفاظ جديدة بالاشتقاق أوالافتراض، فقد جاء حافلا بالمعلومات الصوتية الصرفية، النحوية والتأصيلية. ومن أهمّ خصائص هذا المعجم طريقة بناءه على مخارج الحروف وكان هذا عمله منه وإليه ومعنى هذا، أنّه اعتمد على عقله وذوقه، فكان كتاب" العين" مصدر إلهام اللّغويين الّذين تبعوه ونهجوا نهجه في الدراسة وبل كان المادة الأساسية لمعاجمهم وأرائهم اللّغوية العربية وفقهها ويعتبر هذا المعجم نُقلة عظيمة نقلت التأليف المعجمي من طور السذاجة إلى طور النّضاجة والإكمال.

أمّا فيما يخص معلومات المدونة فهو كتاب "العين" لابن عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي بتحقيق كل من الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السّامرائي، الجزء الأول.

1 . 2 المدونة الثانية:

وثاني مدونة في بحثنا هذا كتاب "الأصوات اللّغوية" للدّكتور إبراهيم أنيس فهو من أهمّ أعلام العرب اللّذين حظيت بهم الدراسات اللّغوية المعاصرة فكتاب "الأصوات اللغوية" ثمرة جهود إبراهيم أنيس حيث عالج قضايا لغوية عدّة بمنظور حديث متأثر باللسانيات الغربية، ومن أهم هذه القضايا "قضية الأصوات اللّغوية" فقد صرّح في مقدمته – الأصوات اللغوية– بأنّ هذا الكتاب جاء بعد ما كان اللّغويون والدارسون يرددون أراء، وأعمال القدامى، فحاول دراسة هذه الآراء بوجهة حديثة، فكان كتابه هذا يتحدث عن الأصوات اللّغوية كلّية، وحتى العلم الذي تندرج فيه هذه الأصوات، وإنّ ما جاء في هذا الكتاب يكشف لنا أنظار دقيقة إلى ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة. وهنا ندخل في مضمون الكتاب فقد قسمه صاحبه –إبراهيم أنيس– إلى عشرة فصول وكلّ فصل تندرج تحته مباحث. فالفصل الأول ينطوي على أربعة مباحث أوّلها ظاهرة الصّوت الّتي تطرق إليها المؤلف من جميع النواحي، تعريفه للصوت وشدته*، ونوعه وصفته، ثم يأتي المبحث الثاني بعنوان الصّوت الإنساني محددا منشأ الصّوت ومصدره، الذي يكون في معظم الأحيان الحنجرة، كما تناول أيضا أهم العوامل الّتي تؤثر في درجة الصّوت الإنساني، وأمّا المبحث الثالث "كيف بدأ الصوت اللّغوي" فاستعرض فيه أهم النظريات المختلفة في نشأة اللّغة، متنقلا إلى أهمية السّمع في إدراك الصّوت اللّغوي، فتحدث عن أهمية هذه الحاسة عند الإنسان الّتي لابد منها لفهم الأصوات.

* درجة الصوت فهي المقياس الموسيقي الذي يدركه من له إلمام بفن الموسيقي.

الفصل الثاني من هذا الكتاب عالج فيه أعضاء النّطق وتحديد الجهاز النّطقي عند الإنسان كما عالج ظاهرتي الجهر والهمس معرّفا هاتين الظاهرتين في المبحث الثاني منقلا إلى شدة الصّوت ورخاوته في المبحث الثالث. وفي الفصل الثالث تناول فيه أصوات اللّين وخصّ المبحث الثاني بأصوات الليّن في اللّغة العربية منتقلا في المبحث الثالث إلى أنصافها.

أمّا الأصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها تحدث عنها في الفصل الرابع فحدّد الأصوات الساكنة ومخرج كل منها وصفاتها، كما تطرق أيضا إلى طول الصوت اللّغوي في الفصل الخامس ثم المقطع الصوتي معرّفا إياه، ثم انتقل إلى النبر وموسيقي الكلام وما يطرأ على الكلمة من أحكام لغوية في انتقال النبر.

الفصل السادس تحدث عن المماثلة في الكلام وأنواعها ودرجات التأثّر في الأصوات المتجاورة وانتقل إلى التصور التاريخي للأصوات في الفصل السابع مبيّنا أنّ أصوات اللّغة العربية قد أصابها نوع من التطور التاريخي، كما أنّه لم يهمل الصوت عند الطفل فكان عنوان فصله الثامن " الطفل والأصوات اللّغوية" فتناول تطور الصّوت اللّغوي عند الطفل، وطريقة النطق الصحيح وكيفية صياغة كلمات من مناغاة الأطفال، وقد تطرق في الفصل التاسع إلى عوامل تطور الأصوات اللّغوية معرضا أهم أسباب التطور: منها اختلاف أعضاء النطق، البيئة الجغرافية، الحالة النفسية...الخ من الأسباب وختم كتابه هذا –الأصوات اللغوية– بأثر العادات الصوتية في تعلّم اللّغات الأجنبية.

ومن أهمّ خصائص هذا الكتاب نجد أنّه في جميع فصوله العشرة لم يخرج عن نطاق الصوت ضف إلى أنّه حاول إعطاء صبغة حديثة للدراسة الصوتية معتمدا على الوسائل الحديثة، كما أنّه اهتم بالصوت اللّغوي عند الطفل. وأماّ في ما يخص معلومات عن هذا الكتاب – الأصوات اللّغوية– تأليف دكتور إبراهيم أنيس، مدرس بكلية دار العلوم –مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الطبعة الأولى.

1 . 3 أدوات العمل:

اعتمدنا في بحثنا هذا على المدونة اللّغوية التي نميز فيها بين القديم والحديث والمتمثلين في كتاب– العين– للخليل بن أحمد الفراهيدي وكتاب "الأصوات اللّغوية" للدكتور إبراهيم أنيس، وهما العينة الثابتة الّتي حاولنا التطبيق عليها.

حيث كان سبيلنا إلى ذلك الاعتماد على آلية الوصف والتحليل إضافة إلى المنهج المقارن بأدوات التحليل والوصف من خلال رصد الأمثلة، وتحليلها وإبراز أهم الاختلافات والتشابهات بين معطيات الطرفين في الظّاهرة الصّوتية العربية.

حاولنا في بحثنا هذا أن نبرز بعض نقاط التشابه والاختلاف بين هاذين العالمين ومنها: بالنظر إلى تحديد مفهوم الصوت، بالنظر إلى صفات ومخارج الأصوات بالنظر إلى تحديد الجهاز النطقي وأعضائه، بالنظر إلى قسمين الأصوات، الظواهر الصوتية المطروحة.

المبحث الثاني:

دراسة مقارنة بين الخليل بن أحمد الفراهيدي وإبراهيم أنيس .

1 . دراسة مقارنة بين الخليل بن أحمد الفراهيدي وإبراهيم أنيس:

1 . 1 بالنظر إلى تحديد مفهوم الصوت اللغوي:

سبق وأن تطرقنا إلى مفهوم الصّوت لدى كل من الخليل وإبراهيم أنيس، فعرّفه الخليل بأنّه الحرف استنادا إلى قوله: "فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فأنظر إلى حروف الكلمة..."[1] .

فالخليل بن أحمد الفراهيدي كما نلاحظ لم يذكر كلمة "الصوت" ولكن هذا لا يعني أنّ الخليل ليس على علم بالصّوت وبل عنده الصّوت والحرف في مكانة واحدة حيث لم يفرق بينهما.

أمّا عند الدكتور إبراهيم أنيس يجد في الصّوت أنّه ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها. وإذ حللنا، الكلمتين المسطرتين، نجد أنّ الأولى –أثرها – تجرّنا إلى شيء وهو أنّ هذا الصوت يترك انطباعا وأثرا رغم مروره على الهواء، معناه أنّ هناك اهتزاز وهذا الاهتزاز يُكتشف بوسيلة من الوسائل الحديثة لعلم الأصوات، وعلى الرغم من هذه الاهتزازات الّتي لا ترى بالعين المجردة إلاّ أنّه يمكن أن نجعل الصّوت من المرئيات وكلمة– كنهها– نجد أنّ المعنى ودلالة الصوت عند إبراهيم أنيس، هو ثاني شيء يدركه الإنسان بعد تلقيه الذبذبات الصوتية كما أن الدكتور –أنيس– رأى في الهواء الشيء الضروري لانتقال الهّزات الصّوتية إلى أذن السّامع. فنرى أنّه فصّل بالتدقيق في معنى الصوت، بدأ بكيفية حدوثه وانتشاره في الهواء إلى حين إدراكه من طرف المتلقي. لكن هذا لاينفي أنّ الخليل ليس على دراية بهذا وإنّما كان لغياب الوسائل أثر كبير في نقص تحليله للصّوت.

ولو نقارن بين الاثنين في مفهوم الصّوت فسنجد أنّ هناك تباين صغير حيث أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي لم يذكر فقط كلمة "صوت" وأمّا عند إبراهيم أنيس كان الصّوت واضحا كل الوضوح في كتابه –الأصوات اللّغوية– إذ تناوله من جوانب كثيرة سواء من ناحية حدوثه ومصدره أو كيفية

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي،العين ،تح، مهدي المخزومي و إبراهيم السّامرائي.

انتقاله عبر الهواء محددا درجة الصّوت وأهمية حاسة السّمع في إدراك الصوت. كلّ هذه العناصر ضرورية حتى نسمي الصّوت صوتا، كما ربط في كتابه الصّوت بالجنس والسّن في نمو الصّوت اللّغوي وهذا ما لم يتطرق إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي. ونخلص لأهم نقطة اختلاف يمكن استنتاجها بين هاذين العالمين وهي أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي لم يفصّل في تعريفه بحيث أضحى غامضا نوعا ما واكتفى بقوله:" فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فأنظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحدا في الكتاب المقدم فهو ذلك الكتاب" وأمّا إبراهيم أنيس فصّل في هذه الظاهرة مبينا حدوثها بالتّفصيل باعتماده على وسائل حديثة تبين كيفية إنتاج الصوت مشيرا في ذلك إلى درجة الصوت.

وأمّا نقطة التشابه نلاحظ التقارب الموجود بينهما في وصف ظاهرة الصوت فالخليل رتّب معجمه –العين– حسب المخارج دليل على علمه بأعضاء جهاز النطق رغم انعدام الوسائل العلمية والمخبرية، وبل اعتماده الوحيد على حاسة الذوق جعله يكتشف المخارج، كذلك إبراهيم أنيس اعتماده على الوسائل الحديثة من أجل تعريف ووصف الصّوت لدى الإنسان لذكره بشدّة الصّوت وانتقال الذبذبات عبر الهواء واكتشاف عضو الرئتين الّذي له دخل في انجاز الصّوت. فالاثنان اعتمدا على حاسة السّمع في الحدوث الصوتي.

1 . 2 بالنظر إلى المقطع الصوتي:

لو نذهب إلى كتاب –العين– لا نجد ما يشير إلى مفهوم المقطع الصّوتي لكنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي وضع علم العروض على أساس المقطع أي تقطيع الشعر فلم يرد المقطع الصّوتي ضمن دراساته اللّغوية.

وأمّا عند الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه –الأصوات اللغوية– قد فصّل فيه أي المقطع الصّوتي في الفصل الخامس إذ قال:" أنّ الكلام المتصل يتكون من أصوات لغوية تختلف في نسبة وضوحها السمعي".[2] فباعتماده على وسيلة التسجيل لذبذبات صوتية لجملة من الجمل فوق لوح حساس، فشبه إبراهيم أنيس الذبذبات أنّها تتكون من قمم ووديان وأمّا ما يقصده بالقمم معناه الدرجة والشدة الصوتية الّتي يصل إليها الصوت في الوضوح وأمّا الوديان هو انخفاض المقطع الصوتي. فوصل إلى نتيجة أنّ اللّغة العربية تتكون من مقاطع صوتية ينضمّ بعضها إلى بعض في انسجام تام فالمقطع الصوتي مثلا (كتب) عبارة عن /ك/ مقطع /ت/ مقطع /ب/ مقطع وانسجام هذه المقاطع الصوتية تشكل مقطع صوتي ذا دلالة معينة. وما يمكن أن تستنتجه هو أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي وإبراهيم أنيس تناولا المقطع بصفة أو بأخرى. وأمّا نقطة الاختلاف بينهما هو أنّ إبراهيم أنيس فصّل ودقّق في المقطع الصوتي حتى في الكلام العادي على عكس الخليل بن أحمد الفراهيدي الّذي ذكر المقطع فقط في علم العروض أي في الأوزان الشعرية.

1 . 3 بالنظر إلى صفات ومخارج الأصوات :

أ . بالنظر الصّفات: استطاع القدامى ومن بينهم الخليل الّذي تتبع صفات الأصوات اللّغوية بالاعتماد على الملاحظة وتذوق الحروف على حاسة السمع، فالخليل قسّم صفات الأصوات إلى نوعين: النوع الأول الّذي له ضدّه وفيه إحدى عشرة صفة المتمثلة في الجهر، الهمس، الرخاوة والشدّة، التوسط، الاستفال، والاستعلاء ،الانفتاح والإطباق، الإصمات والإذلاق. أما النوع الثاني الصفير، القلقلة، الانحراف، الغنّة، المكررة، التفشي، الاستطالة. وبعد دراستنا بين الخليل وإبراهيم في توزيع هذه الصفات على الأصوات فمثلا الخليل يعدّ عدد الأصوات المهموسة هي عشرة:(ح، ث، ه، ش، خ، ص، ف، س، ك، ت) لكن إبراهيم أنيس يعدّها اثنا عشر:(ت، ث، ح،خ، س، ص، ط، ف،ق، ك، ه) وأيضا في

[2]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 87.

صفة الجهر فالخليل يعدّ الأصوات الّتي تحمل هذه الصفة هي تسعة عشر: (ع، غ، ق، ج، ض، ز، ط، د، ظ، ذ، ر، ل، ن، ب، م، ي، و، ألف، همزة) لكن عند إبراهيم أنيس هي (ب، ج، د، ذ،ر،ز، ض، ظ، ع،غ ،ل، م، ن) كعكس صفتي الشدّة والرخاوة فهي نفسها عند كلا من العالمين. وهذا الاختلاف بسبب الضبط الدّقيق لها من طرف المحدثين بفعل تلك الأجهزة الحديثة المستخدمة أو بسبب التطّور الّذي حصل لبعض الأصوات الّتي عدّها المحدثون قوانين صوتية.

ب . بالنظر إلى المخارج:

اختلفا كلا من إبراهيم أنيس والخليل ابن أحمد الفراهيدي في ترتيب المخارج فكان هذا الأخير ترتيبه تصاعديا. ابتداء من الحلق وصولا إلى الشفتين ولقد جعل المخارج ثمانية قال: " فالعين، الحاء، الهاء، والخاء، والغين، حلقية، لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأنّ مبدأهما من اللّهاة، والجيم، والشين، والضاد، شجرية لأن مبدأهما من شجر الفم أي مخرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسّلة اللّسان والطاء والدال نطعية لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والذال والثاء لثوية لأنّ مبدأها من اللّثة. والراء، واللام، والنون ذلقية لأنّ مبدأها من ذلق اللّسان. والفاء، الباء، والميم، شفوية، وقال مرّة شفهية لأنّ مبدأها من الشفّة، والياء، والواو، والألف، والهمزة هوائية في حيز واحد لأنّها هاوية في الهواء، لا يتعلق بها شيء."[3] على عكس ترتيب المحدثين الّذين كان ترتيبهم تنازليا ابتداء من الشفتين وصولا إلى الحنجرة ومن بين المحدثين الّذين اعتمدوا على هذا الترتيب إبراهيم أنيس فلقد فصّل في هذا الموضوع حيث قسّم مخارج الأصوات إلى: الأصوات الشفوية (الباء، والميم)، والصوت الشفوي الأسناني (الفاء): والمجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج (ذ، ت، ظ، د، ض، ت، ط، ل، ن، ر، ز، س،ص) ويقول إبراهيم أنيس: " أنّ وجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أنّ مخارجها تكاد تنحصر بين

[3]– الخليل العين، ص 65.

اللّسان بما فيه طرفيه والثنايا وأصولها".[4]ونجد أيضا عنده أصوات وسط الحنك (ش، ج)، أصوات أقصى الحنك (الكاف، القاف، غ،خ،ع،ح،ه الهمزة). فنلاحظ أنّ هناك اختلاف في ترتيب مخارج الأصوات، لكن إبراهيم أنيس يشير إلى كون الاختلاف بين الطرفين- المحدثين والقدامى_ في تفسير الأصوات ووصفها يعود إلى التطور الحاصل لتلك الأصوات عبر الزمن أي أنّها لا ترتقي إلى درجة أن تكون خلافات جوهرية ذات تأثير كبير في الدراسة.

1 . 4 بالنظر إلى تحديد الجهاز النطقي وأعضائه:

استعان المحدثون في دراساتهم بعلوم أخرى: علم التشريح، وعلم الأحياء والفيزياء والدّراسات التي قام بها القدماء في هذا المجال. فعرّف الخليل أعضاء النّطق ووصفها وصفا دقيقا وذلك بالاعتماد على آلية النّطق، والخليل لم يذكر الحنجرة، ويبدو أنّ عدم ذكر الخليل للحنجرة كان يؤدى بقولهم أقصى الحلق[5] ، وهو المخرج الّذي حدده تلميذه سيبويه تحديدا نهائيا وينسب إليه خروج صوتي الهمزة والهاء. على عكس إبراهيم أنيس الّذي حدّد أعضاء النطق تحديدا دقيقا فلم يهمل أي عضو ولقد فصّل في كل عضو وهي كما يلي: القصة الهوائية الحنجرة، الحلق، اللّسان، الحنك الأعلى، الفراغ الأنفي.

فنلاحظ أنّ العنصر الّذي أهمله الخليل ذكره إبراهيم أنيس ألا وهو الحنجرة وسبب إهماله هذا هو جعله الحنجرة جزءاً من الحلق أو مرادفا للبلعوم والحلقوم.

1 . 5 بالنظر إلى قسمي الأصوات:

لقد رأينا كيف أنّ الخليل قسّم الأصوات إلى قسمين وهما الصحيحة والمعتلة قال الخليل: "حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف يقال لها: جوف

[4]- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية، ص 49.

[5] - الخليل ،كتاب العين،ص 58.

الواو، أجوف، ومثله الياء، والألف اللين والهمزة،، سميت جوفا."[6] فالحروف الصحيحة عند الخليل خمسة وعشرون حرفا فبدأها بالعين وختمها بالباء والميم. وحروف العلّة هي أربعة أحرف، الواو، الألف، الياء، الهمزة. لكن إبراهيم أنيس تبنى تقسيمه للأصوات تحت مصطلحين مختلفين وهما السواكن وأصوات اللين، وأساس هذا التقسيم عنده هو الطبيعة الصّوتية لكل من القسمين فالأصوات الليّنة عند النّطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة. أمّا السّواكن إمّا ينسحب معها الهواء انحباسا محكما أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير أو الحفيف. فالأصوات الليّنة تتمثل في الفتحة والضمة والكسرة وكذلك الألف الليّنة والياء الليّنة والواو الليّنة وما عاد هذا فأصوات ساكنة، والفتحة والضمة والكسرة ما يطلق عليها قديما بالحركات.فالاختلاف يكمن فقط في المصطلحات لكن المضموم واحد.

1 . 6 بالنظر إلى الظواهر الصّوتية المطروحة.

أ . المماثلة: والمماثلة عند العرب القدامى استبدال صوت بآخر تحت تأثير ثالث يكون مجاورا له في الكلمة أو الجملة، وهي أنواع:

1 . المماثلة الرجعية: الصّوت الثاني يؤثر في الصوت الأول مثال: **(يتذكر)**، الذال يؤثر في التاء فتتحول التاء إلى ذال ثم يدغمان بذّكر، وكذلك مع (يتطهّر) فتصبح يطّهّرُ.

قال تعال: " يأيها الّذين أمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله اثّاقلتم في الأرض."[7] وقال أيضا: وإذا قتلتم نفسا فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون."[8]

2 . المماثلة التقدمية: وهي عكس الرجعية الأول يؤثر في الثاني ففي صيغة " افتعل من الفعل زجر فالتاء تتحول إلى صوت الدال مثل: ازتجر ← ز← ت، تتحول إلى د فتصبح ← ازدجر.

---

[6] – كمال بشر، دراسة في علم اللغة ، ص75.

[7] سورة التوبة، أية 28.

[8] سورة البقرة، آية 27.

ادتعى ← د ← ت، تتحول إلى د فتصبح ادّعى.

ازتان ← ز ← ت، تتحول إلى د فتصبح ← ازدان.

3 . المماثلة الكلية: الصّوت الّذي يتحول يصبح من نفس جنس الصّوت المؤثر فيه ومن أمثلة عن ذلك. وتد ← ودّ ← مماثلة رجعية كلية.

ظلم ← اظتلم ← اظلّم ← مماثلة تقدمية كلية.

طلع ← اطتلع ← اطّلع ← مماثلة تقدمية كلية.

4 . المماثلة الجزئية: الصوت الّذي يتحول يصبح قريبا من الصّوت المؤثر سواء في المخرج أو الصفات ومن أمثلة نذكر:

اصتبر ←اصطبر← مماثلة تقديمة جزئية

اضترب← اضطرب ← اطّرب مقاثلة تقدمية جزئية

عنبر ← عمبر ← مماثلة رجعية جزئية.

وذلك أنّ الصاد والضاء تتصف بقوة التأثيرعلى ما يجاورها لذا تتحول التاء المنفتحة تحت تأثير هذه الأصوات إلى نظيرها المطبّق (الطاء).

درجةالتاثير الصوتي:

1 . الجهر والهمس: فاذا إلتقى صوت مهموس بأخر مجهور فقد يقلب أمرهما إلى نظير الآخر مثل:

ادتعى← ادّعى (دال مجهور، التاء مهموس)

2 . انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف أو العكس ويحدث غالبا في صوتي

(م، ب) / (ن،د) مثل فإن لم تنطبق ← فإلّم.

3 . انتقال مخرج الصوت: ينتقل الصّوت من مخرجه الاصلي إلى مخرج آخر.

4 . بين الشدة والرخاوة: تلعب صفات الأصوات دورا مؤثر في عملية الانتقال التأثيري مثل لفظة ست ← أصلها سدس ← سدت (يقلب السين تاء) ستّ (بإدغام الدال في التاء).

5 . الإدغام: يترتب على تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين أحدهما يعنى اللآخر.

لم يختلف أيضا إبراهيم أنيس في درجة التأثر الصّوتي فهي نفسها التّي ذكرها القدامى أمثال الخليل. والمماثلة عند إبراهيم أنيس يقول أنّها مظهر من مظاهر التغير الصّوتي التركيبي المشروط والمقصود وللمماثلة أنواع وهي نفسها الّتي ذكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي، والابدال القياسي الّذي يشير إليه إبراهيم أنيس في صيغة "افتعل" حين تكون فاؤها "دالا" أو "ذالا" أو "زايا" وأيضا في درجة التأثر كلا من العالمين يتوافقان في هذا العنصر فإبراهيم أنيس لم يضف أو ينقص في الّذي قاله الخليل لكنّه دقق فيها وتوسع.

ب . المخالفة: ويعني هذا المصطلح حدوث اختلاف بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التضعيف، وذلك بأن يتغير أحد الصوتين المضعّفين إلى أحد أصوات المدّ: الألف، الواو، والياء، وقد نشأت هذه الظاهرة بسبب الثقل الناشئ عن تجاور صوتين من مخرج واحد، ولقد تفطنوا لهذه الظاهرة علماء العربية منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد أدركها هذا الرجل، غير أنّه استعمل صيغية الفعل منه، فقد قال: و" أما "، "مهما" ولكن أبدلوا من الألف الأولى "هاء" ليختلف اللفظ"[9].فالخليل بن أحمد الفراهيدي استعمل صيغة (يختلف) وهي الشائعة الآن في اللّغة العربية بمصطلح "المخالفة"، كما سمّاها الخليل كراهية اجتماع المثلين وهو أول شيء أشار إليه لثقلها على اللّسان في تعريف الإدغام: " تقريب الحرف من الأحرف إذا قرب مخرجه من مخرجه في اللّسان" حيث يرى الخليل أنّ قراءة الحرف مرتين ثقيل على اللّسان وهو عنده مثل إعادة الحديث مرتين.

[9] . الخليل، العين، ص 385.

يعتبر إبراهيم أنيس من اللّغويين المحدثين الّذين عالجوا هذه الظاهرة بقوله:"... إنّنا نلحظ أنّ كثيرا من الكلمات الّتي تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، يتغير أحد الصوتين إلى صوت لين طويل، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللّين في بعض الأحيان"[10]. ويدمج إلى إبراهيم أنيس المخالفة ضمن التّطور التاريخي للصّوت اللّغوي بحيث أنّ كلمة تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر. كما يرى أيضا أنّ المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل:

إجاص ⟵ روي فيها إنجاص

دبّوس ⟵ روي فيها دنبوس

وهنا نجد أنّه دخل في نوع من أنواع المخالفة وهي المخالفة المتجاورة بحيث لا تتم إلاّ حين يتجاور صوتان متشابهان من الأصوات المفخمة الاحتكاكية. ومن خلال هاذين اللّغويين نرى أنّ الخليل تطرق إلى هذه الظاهرة بإطلاقه عليها كراهية اجتماع المثلين فعالج هذه الظاهرة ناظرا إليها من ناحية الثقل في النّطق. أمّا الدكتور إبراهيم أنيس عالج هذه الظاهرة بكونها حادثة تطرأ على الصّوت اللّغوي عبر زمن معين بحيث أنّ الإنسان يميل إلى الأصوات السهلة بدلا من الأصوات التي تتطلب منه جهد عضلي. هذا فيما يخص الاختلاف وكيفية معالجة كلّ من الخليل بن أحمد الفراهيدي والدكتور إبراهيم أنيس. أمّا نقطة التشابه بينهما هو أنّ الاثنين يهدفان إلى تحقيق سهولة النّطق عند المتكلم دون صعوبة.

نستنتج أنّ ظاهرة المماثلة والمخالفة تطرّق إليها القدماء والمحدثون هادفين تحقيق التوازن في الأصوات.

[10] الخليل، العين، ص385.

ج/ الإدغام: إدخال حرف في حرف آخر بحيث يصيران حرفا واحدا وهو أنواع:

1/ **إدغام متماثلين:** هما الصّوتان المتماثلين ويتفقان في المخرج كالباء والتاء عند التقائهما تحذف حركة أحدهما ويدغم الآخر مثل: قرّ ← قرْرَ ، مدّ ← مدْدَ

2/ إدغام متقارب: إدغام صوت في آخر لقرب أحدهما على الآخر سواء في الصفة أو المخرج مثل: إدغام الهاء مع الحاء.

أمثلة في الإدغام:

. إدغام الحاء في العين في قوله تعالى:" فمن زُحْزِحَ على النّار وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فازَ".[11]

فهذا هو الإدغام عند القدامى ومنهم الخليل ولم يكن إبراهيم على اختلاف فيما قاله الخليل.

د . الإعلال والإبدال: لقد تطرّق القدامى إلى هذه الظاهرة وفصّلوا فيها:

1 . الإعلال: وهو حرف العلّة وهو أنواع:

. الإعلال بالحذف: مثل حذف حرف العلّة مثل: يُورِثُ ←يَرِثْ←

قوْم ←— قُم، خافْ ←— خفْ، بيْعْ ←— بَعْ، وَعدَ ←— عِدْ.

. الإعلال بالقلب: قلب أحد أحرف العلّة أو همزة حرفا آخر

مثل: دَعَوَ ← دَعَا، رَميَ ← رَمَى، قول ← قال، بَيَعَ ← بَاعَ.

[11] أل عمران ، آية 185.

-الإعلال بالتّسكين: وهو شيئان: حذف حركة حرف العلّة.

نقل حركة للسّاكن قبله مثل:

يَرْمِيُون ← يَرْمِيْوْنْ ← يَرْمُونَ.

. الإبدال: إزالة حرف ووضع حرف آخر.

مثل: خاف ← أصلها ← خوف (صرفي)

مثال: النّاس ← النات ← (الشاذ)

مثال: تخطّى ← تخطط ← (المخالفة).

هذه الظاهرة لم يتطرق إليها إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللّغوية".

إنّ الخلاف بين المحدثين والقدامى لم يكد يتعدى المصطلح فالظواهر معظمها وحتى المباحث المختلفة عرفوها وإن اختلفت درجات التناول بينهم.

1 . 7 بالنظر إلى طريقة تناول المباحث الصوتية:

اعتمد المحدثون في طريقة بحثهم على التطور الحاصل في الدراسات الصّوتية سواء على المستوى الفيزيائي أو التشريحي، بينما القدامى اعتمدوا اعتمادا كليا على الملاحظة المباشرة والذوق الحسي فجاءت دراسات المحدثين أكثر دقةّ وتنظيما وبالتالي كانت معرفتهم للمصطلح الصوتي معرفة دقيقة بينما القدماء . رغم ما يُعترف لهم بالفخر والعظمة لدراساتهم . لم يتمكنوا من تحديد بعضها وليس كلّها على النحو الّذي اهتدى إليه المحدثون.

1 . 8 نتائج الدراسة التّطبيقية:

. استطاع الخليل من استقراء العربية وهو الشيء الذي لم يقوم به علماء اللّغة ممن تقدمه وممن عاصره.

. تتبع الخليل صفات الأصوات اللّغوية بالاعتماد على الملاحظة وتذوق الحروف على حاسة السمع على عكس إبراهيم أنيس الّذي اعتمد على الأجهزة الحديثة.

. كان ترتيب إبراهيم أنيس للمخارج تنازليا، لكن الخليل ترتيبه تصاعديا.

. أقصى الخليل الحنجرة أثناء استعراضه لأعضاء الجهاز النطقي، وهو الشيء الّذي لم يهمله إبراهيم أنيس فحدد أعضاء الجهاز النطقي تحديدا دقيقا.

. رأينا كيف أنّ الخليل قسم الأصوات إلى قسمين، تحت مصطلحين الصحيحة والمعتلة، اللذان وردا عند إبراهيم أنيس بمصطلحين مختلفين وهما السواكن وأصوات اللّين.

. لم يرد مصطلح "صوت" في مادة الخليل الصوتية بل وردت كلمة "حرف "تعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر.

. اعتمد المحدثون في طريقة بحثهم على الوسائل الحديثة، بينما القدامى اعتمدوا اعتمادا كليا على الملاحظة المباشرة، والذوق الحسي.

. كان هناك تشابه في طريقة تناول الظواهر الصّوتية بين القدامى والمحدثين رغم الفارق الزماني، لكن المحدثون دققوا فيها وفصلوا فيها وذلك للتطور الحاصل في الدّراسات الصوتية.

. تحديد مفهوم الصوت عند كلا من إبراهيم أنيس والخليل .. في كتاب الخليل "العين" لم يعالج فقط الظاهرة الصوتية بل تطرق إلى موضوعات أخرى مثلا أنّ كلام العرب مبني على أربعة لأصناف، الثنائي الثلاثي، الرباعي والخماسي عكس كتاب "الأصوات اللّغوي" الّذي موضوعه الصوت.

. كان القرآن الكريم المصدر الذي طبقا عليه دراساتهم.

النتائج العامة للبحث

أولا:

من أهمّ القضايا التي لفتت انتباه العرب القدامى والمحدثون " ظاهرة الصوت " فقدّموا له مفاهيم مختلفة، واتفقوا على أنّه ذلك الكلام الّذي يخرج من فمّ المتكلم، فأرجحوه ضمن المباحث اللّغوية الصوتية، فتناولوه بدقّة مبينين في ذلك مكان حدوث الصوت، والأعضاء المشاركة في حدوث هذه العملية الكلامية، وهذا ما جعل اللّغويون المحدثون يفصّلون فيه باعتبار الحنجرة العضو المولد لهذا الصوت، ضف إلى ذلك المجهودات التي أقيمت من أجل تصنيف وتقسيم هذه الأصوات.

ثانيا:

نال مصطلح الصّوت في الدّراسة العربية قسطا كبيرا في بحوث الأغلبية من اللّغويون القدامى والمحدثون فأخذ فصلا كاملا في كتبهم الصّوتية خدمة للّغة العربي، فكان القرآن الكريم المحفز الأول لبداية الدراسة الصوتية عند العرب القدامى وأمّا المحدثون فقد تطرقوا لهذه الدراسة بمنظور اللّسانيات الحديثة، ودائما بالاعتماد على جذور الدراسة الصوتية العربية القديمة.

ثالثا:

للدّراسة الصوتية أهمية بالغة في البحث اللّغوي العربي، فتصدرت هذه الدّراسة قائمة الكتب والبحوث اللّغوية الصوتية، فبذل رواد هذه الدّراسة القدامى والمحدثين قصارى جهدهم هادفين بذلك تطوير اللّغة العربية الّتي مرّت بمراحل كثيرة بداية بظهور القرآن الكريم إلى يومنا هذا، وما تحياه هذه اللّغة الآن من نضج وتطور إلاّ نتيجة لهذه الدراسة الصوتية.

النتائج العامة للبحث

أولا:

من أهمّ القضايا التي لفتت انتباه العرب القدامى والمحدثون " ظاهرة الصوت " فقدّموا له مفاهيم مختلفة، واتفقوا على أنّه ذلك الكلام الّذي يخرج من فمّ المتكلم، فأرجحوه ضمن المباحث اللّغوية الصوتية، فتناولوه بدقّة مبينين في ذلك مكان حدوث الصوت، والأعضاء المشاركة في حدوث هذه العملية الكلامية، وهذا ما جعل اللّغويون المحدثون يفصّلون فيه باعتبار الحنجرة العضو المولد لهذا الصوت، ضف إلى ذلك المجهودات التي أقيمت من أجل تصنيف وتقسيم هذه الأصوات.

ثانيا:

نال مصطلح الصّوت في الدّراسة العربية قسطا كبيرا في بحوث الأغلبية من اللّغويون القدامى والمحدثون فأخذ فصلا كاملا في كتبهم الصّوتية خدمة للّغة العربي، فكان القرآن الكريم المحفز الأول لبداية الدراسة الصوتية عند العرب القدامى وأمّا المحدثون فقد تطرقوا لهذه الدراسة بمنظور اللّسانيات الحديثة، ودائما بالاعتماد على جذور الدراسة الصوتية العربية القديمة.

ثالثا:

للدّراسة الصوتية أهمية بالغة في البحث اللّغوي العربي، فتصدرت هذه الدّراسة قائمة الكتب والبحوث اللّغوية الصوتية، فبذل رواد هذه الدّراسة القدامى والمحدثين قصارى جهدهم هادفين بذلك تطوير اللّغة العربية الّتي مرّت بمراحل كثيرة بداية بظهور القرآن الكريم إلى يومنا هذا، وما تحياه هذه اللّغة الآن من نضج وتطور إلاّ نتيجة لهذه الدراسة الصوتية.

الخاتمة

الخاتمة:

من التفصيلات السالفة نصل إلى جملة النتائج المتمثلة فيها يلي:

. إنّ الدراسات اللّغوية العربية ومنها الصوتية انبثقت من النص المقدس الكريم، وذلك من أجل الحفاظ عليه من التحريف جراء ظاهرة اللّحن.

. إنّ دراسة الأصوات اللّغوي لدى القدامى، أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي لم تكن مستقلة عن غيرها من العلوم اللّغوي.

. النتائج التي توصل إليها المحدثون لم تختلف إلى حدّ كبير مع ما توصل إليه الخليل.

. إنّ الدّراسة الصوتية الحديثة أكثر دقة وشمولية من حيث تناول الظاهرة الصوتية وتحديد مصطلحاتها، وقد ساعدهم على ذلك:

. تعدد اللّغات فاتّسع مجال البحث.

. توفر الوسائل العلمية والتقنية.

– اعتماد المحدثون على الدّراسات الغربية وتطبيقها على الدّرس الصّوتي العربي الحديث.

كما قلنا سالفا أن كتاب "العين" أول مادة في علم الأصوات دلت على أصالة الخليل وأسهم فيه إسهاما قيّما في إرساء الركائز الأولى لهذا العلم، ممّا أتاح للمحدثين فرصة لإدراك حقيقة الأصوات اللّغوية وسهّل عليهم الخوض في الموضوع بكل التفصيلات، وسمح للعرب في ظلّ لغة القرآن أسبقية الكشف العلمي والتوصل إلى النتائج التي تواضعت عليها اليوم حركة الأصواتيين العالمية بعد استغلال الأجهزة المتطورة التي أكدت صحة المعلومات الهائلة الّتي توصل إليها العرب في هذا الميدان.

ومصطلح علم الأصوات مصطلح أصيل واستعمله العرب القدامى بكل دقّة ووضوح، لكن لا تنسى أنّ للمحدثين أثر أيضا في هذا العلم ومن هؤلاء نذكر إبراهيم أنيس الّذي أمدّنا بالكثير بحيث بحث ودقّق فيه معتمدا على الأجهزة الحديثة والدّراسات القديمة فهناك ما وافق هذه الدراسات وهناك ما اختلف فيها .

في الأخير نسأل الله تعالى أن يكون لأهل، هذا العلم هاديا ومعينا على طلبه، فإن أحسسنا فذلك من الله الذي له الفضل والنعمة والإحسان ومنه التوفيق والرّشد والقوّة، وإن أسأنا فمن أنفسنا المقصورة ومن الشيطان.

-ونتمنى أنّنا قد وفقنا ولو بقليل على كشف بعض النقط المهمة في الصّوت لدى القدامى والمحدثين ، لأن هذا البحث في مثل هذا الموضوع يحتاج إلى وقت كبير والتّعمق في جميع جوانبه الحديثة والقديمة.

ندعو الله أ ن يغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين والمؤمنات وأن يعزّ الإسلام والمسلمين، وصى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدّين.

الملاحق

الملاحق

نبذة عن الخليل: (100هـ -170هـ/ 718م- 786)

الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي البصري، عربي الأصل نشأ عابدا الله تعالى وقد اجتهد في طلب العلم وأخلص فيه وكان من أئمة اللّغة والأدب ووضع قواعد اللّغة العربية حتّى عدّه العلماء الواضع الحقيقي لعلم النحو الّتي نقلها عن تلميذه سيبويه في كتابه المسمى "الكتاب"، واعتزل النّاس في كوخ بسيط حيث كان يقضي فيه ساعات طويلة ،يقرأ ما جمعه من أشعار العرب ويرتبها حسب أنغامها. ويضع كل مجموعة متشابهة في دفتر منفرد، وهو واضع علم العروض، وكانت البداية لهذا العلم عند مرور الخليل ذات يوم بسوق النّغاسين فسمع طرقات المطرقة فلمعت في ذهنه فكرة علم العروض وهو ميزان الشعر أو موسيقى الشعر، حيث ضبط أوزان الشعر العربي وحفظه من الاختلال والضياع وعدّها خمسة عشر بحرا، دون إهماله لأحوال القافية وهي الحرف الأخير في البيت الشعري يلتزم بها طوال القصيدة، وبهذا، فقد أعطى للنّاس هذان العلمان الثريّان مجهزين بالمصطلحات، ولم يكتف الخليل بهذا فقط فقد واصل جهوده ليقدم لنا معجما آلذي يعدّ أول معجم عرفته اللّغة العربية حيث أنّه لم يتقيد بمن سبقوه، فجمع كلمات المعجم بطريقة قائمة على الترتيب الصوتي فبدأ بالأصوات الحلقية(ع،ح، هـ، خ) وانتهى بالأصوات التي تنطق من الشفتين (أ، ب، ت، ث) وقد أطلق على هذا المعجم باسم "العين" وهو أول حرف في أبجديته الصوتية.

عاش الخليل فقيرا صابرا مغمورا في النّاس لا يعرف، قال النضر بن شميل " ما رأى الرّأوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه". حيث عرف بالتعبد والورع، والزهد والتواضع وتلقى على يده العلم العديد من العلماء الذين أصبح لهم شأن عظيم في اللّغة منهم سيبويه والليث بن المظفر الكناني والأصمعي

والكسائي والنضر بن شميل وهارون بن موسى النحوي، ووهب بن جرير،وعلي بن نصر الجهضمي. الخ من العلماء الذّين تتلمذوا على يده.وبهذا يتضح لنا الدرجة العلمية التي يحتلها الفراهيدي رحمة الله عليه.

سهلّ علينا الخليل طريقة الكشف عن الكلمات في معجم العين حيث أنّ كل حرف من حروف الصحاح يحتوي على ستة أبواب هي: باب الثنائي،باب الثلاثي في الصحيح، باب الثلاثي المعتل، باب اللّفيف، باب الرباعي، باب الخماسي.

نبذة عن حياة الدكتور إبراهيم أنيس:

إبراهيم أنيس (1324هـ/ 1906م) رائد الدّراسات اللّغوية العربية ولد بالقاهرة، والتحق بدار العليا، ونخرج منها حاصلا على دبلومها العالي في سنة 1930، وعمل مدرسا في المدارس الثانوي، وفي جامعة لند حصل على البكالوريا سنة 1939 ثم الدكتور في سنة 1941، ونال عضوية في مجمع اللّغة العربية سنة 1961. ومجالات العربية تزخر ببحوثه ومقالاته اللّغوية.

حصل أنيس على شهادتها الثانوية من المدرسة التجهيزية التي كانت ملحقة بدار العلوم .

وقد انتخب رئيسا للنّادي المصري، بعد عودته من أوربا، عمل مدرسا في كلية دار العلوم وبعدها في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وفيها أنشأ معمل الصوتيات.

عاد بعدها إلى دار العلوم وترقّى في وظائفها إلى أن أصبح أستاذا ورئيسا لقسم اللّغويات، وقد اختير خبيرا بمجمّع اللّغة العربية عام 1958، ثم نال عضوية المجمع سنة (1961م)

كانت بحوثه حول الأصوات اللّغوية واللّهجات العربية، ودلالات الألفاظ، وموسيقي الشعر، إلى جانب العديد من القضايا النحوية، والصوفية، وكان أنيس أول من دعا إلى إيجاد نطق نموذجي ينشر في جميع البلاد العربية، وقد وضع لمشروعه هذا خطة مفصلة نشمل : إعداد المدرسين، استغلال الإذاعة، توجيه

السينما والمسرح، الاستعانة بالسلطة التشريعية، وهذا للقضاء على سلطان اللّهجات المحلية، فلا تستعمل في المدارس والإذاعة والمسرح والسينما.

نشأ إبراهيم أنيس في عائلة بسيطة ربته أحسن تربية وعلّمته تعليما راقيا، ودرس علوم اللّغة على شيوخ دار العلوم وأعلامها.

وبحث عن حال العربية قبل الإسلام، وواقع اللّهجات فيها، ودرس ما بين القراءات القرآنية من صلات، وعرض أهم قضاياها في بنيتها ودلالتها وما بينها من اتفاق واختلاف، ثم انتهى إلى أنّ العناصر المشتركة في اللّهجات العربية الحديثة تنتمي إلى لهجات عربية قديمة. ودرس دلالة الألفاظ وأنواعها وبيّن كيف تكون الدلالة عند الأطفال وعند الكبار، وكيف تتطور مع الزمن، وتطرق إلى أثر الدلالة في الترجمة.

وقد تضمنت مؤلفات إبراهيم أنيس هذه القضايا وغيرها، ومن مؤلفاته:

"الأصوات اللّغوي"، "من أسرار اللّغة العربية"، "موسيقى الشعر"، "في اللّهجات العربية"، "دلالة الألفاظ"، الذي نال عنه جائزة الدولة التشجيعية سنة 1985 وكتاب "اللّغة بين القومية والعالمية". ظل إبراهيم أنيس مكبا على عمله، مخلصا له، لا يشغله عن بحوثه وكتبه شاغل مهما كثرت المغريات من المال والجاه، حتى لبّى نداء ربّه إثر حادث أليم في (20 من جمادى الآخرة 1397 هـ الموافق ل 8 من يونيو 1977م).

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي _العين_ تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي- مؤسسة الأعلى للمطبوعات -جزء1-بيروت -ط 1-1988.

2-إبراهيم أنيس -الأصوات اللّغوية- مكتبة الأنجلو المصرية- د ط القاهرة،1999.

3-إبراهيم أنيس- أسرار اللّغة-ط8،مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة،200-

4- ابن جنّي-أبو الفتح العثمان- الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- ج1- دار الكتب المصرية.

5-ابن جني-أبو الفتح العثمان- سر صناعة الإعراب-ج1، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر-ط1

6- ابن جني-عالم العربية-دكتور حسام سعيد النعيمي-وزارة الثقافة والأعلام-دار الشؤون الثقافية العامة ط1- بغداد-1990.

7-ابن فارس- معجم مقاييس اللّغة والأعلام -تحقيق عبد السلام محمد هارون-ج3-دار الجبل- بيروت.

8- ابن منظور - لسان العرب- تحقيق عامر أحمد حيدر- مجلد12 دار الكتب العلمية بيروت.

9-أحمد محمد قدّور-مبادئ اللّسانيات- دار الفكر المعاصر- ط1-دمشق-1996.

10- أحمد مختار عمر-دراسة الصّوت اللّغوي-د ط-عالم الكتب-القاهرة- د س .

11-الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد- تهذيب اللّغة -ج1-تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون- د ط-المؤسسة المصرية-سنة 1964.

12-تمام حسان- اللّغة العربية معناها ومبناها- المكتبة 38 شارع عبد الخالق ثروت-ط3- سنة 418هـ-1913

13-تمام حسان- مناهج البحث اللّغة-ط2-دار الثقافة للنشر والتوزيع -دار البيضاء-المغرب-1986.

14-حسان البهنساوي-علم الأصوات- مكتبة الثقافة الدّينية-ط1-القاهرة-2004.

15-خولة طالب الإبراهيمي- مبادئ في اللّسانيات-دار القصبة للنشر-ط2- الجزائر-2006.

16- رمضان عبد الله- أصوات اللّغة العربية- بين الفصحى واللهجات مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر- ط1- 2005.

17 - روعة محمد ناجي-علم الأصوات وأصوات اللّغة العربية -المؤسسة الحديثة للكتاب- لبنان -ط 1 -2012 .

18- سمير شريف إستيتية - الأصوات اللّغوية -رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية،-دار وائل للنشر- ط1- عمان-2003.

19- حسام السعيد - النعيمي- الدراسات اللّهجية والصّوتية عند ابن جني دار الرشيد للنشر-د ط- 1980.

20- صلاح الدّين صالح حسنين- دارسات في علم اللّغة الوصفي والتاريخي المقارن-دار العلوم للطباعة والنشر-ط1 -1984

21- كمال بشر- علم الأصوات- دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة-2000.

22- محمد علي الخولي- معجم علم الأصوات-ط 1-1982

23- مها محمد فوزي معاذ- الأنثروبولوجيا اللّغوية -دار المعرفة الجامعية- د ط 2009 .

24- أبو السيعود أحمد الفخلاني- البحث اللّغوي عبد إخوان الصفا مطبعة الأمانية- مصر -ط1- 1991

25-سيبويه- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر- الكتاب- دار النشر المطبعة الأميرية ببولاق.

26- الطيب دبه- مبادئ اللسانيات العامة- دراسة تحليلية ابستمولوجية- طبع بالجزائر- حيدرة - 2001.

27- عبد القادر عبد الجليل- الأصوات اللّغوية- دار صفاء للنّشر والتوزيع -ط1-عمّان-1998.

28- عصام نور الدين- علم الأصوات اللّغوية- الفونيتيكا- دار الفكر اللبناني-ط1-بومدراس- 1962.

29- علاء جبر محمد- المدارس الصوتية- عن العرب- النشأة والتطور-دار الكتب العلمية- ط1- لبنان2006-.

30- عليان الحازي-الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه.- المملكة العربية السعودية -المكّة المكرمة- د ط.

31- ماريوي باي- أسس علم اللغة- ترجمة د أحمد مختار عمر- دولة القاهرة-ط 8- -1998

32- محمد أحمد أبو الفرج- المعاجم في ضوء دراسة علم اللّغة الحديث- دار النهضة العربية-ط1.

33-محمود فهمي حجازي- الأسس اللّغوية لعلم المصطلح- دار غريب للطباعة والنشر-القاهرة -د ط

34-مصطفى الخلاييني- موسّعة جامع الدروس العربية-ج2- شركة أبناء شريف الأنصار -ط3 - 2001.

35- مصطفى حركات- الصوتيات و الفنولوجيا- بيروت-ط1 -1998.

36-المعجم المفضل في علم الصرف- إعداد الأستاذ راجي الأسمر مراجعية- إميل بديع يعقوب- دار النشر بيروت، لبنان، 1997.

فهرس الموضوعات

. فهرس الموضوعات .

المقدمة---------- 01

المدخل ---------- 05

مفاهيم ومصطلحات---------- 06

الفصل الأول: الدرس الصوتي عند القدماء و المحدثين

المبحث الأول/ اللّغة والظاهرة الصوتية ---------- **16**

1. نشأة اللّغة ---------- 17

1_ 1مفهوم اللّغة ---------- 21

1_2 وظائف اللّغة ---------- 23

1_3 خصائص اللّغة---------- 25

1_4 الظاهرة الصوتية عند العرب القدامى---------- 27

1_5 القوانين المتحكمة في الظاهرة الصوتية ---------- 33

1_6 عوامل تطور الصوت اللّغوي ---------- 36

1_7علم الأصوات النطقي والأكوستيكي ---------- 39

المبحث الثاني2/ الدرس الصوتي عند العرب القدامى ---------- **44**

1 . مفهوم المصطلح الصوتي عند العرب القدامى ---------- 46

1_1 الصوت اللّغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي---------- 50

1_2 مخارج الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي---------- 52

1_3 أقسام الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي---------- 55

1_4 صفات الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي---------- 56

المبحث الثالث/ الدرس الصوتي عند العرب المحدثين ---------- 62

توطئة ---------- 63

1 . الصوت اللّغوي عند المحدثين العرب---------- 64

1_1 فرعا علم الأصوات ---------- 66

1_2 المصطلح الصوتي عند إبراهيم أنيس ---------- 67

1_3 الدراسة التركيبية للصوت ---------- 70

1_4 الظواهر الصوتية عند المحدثين العرب ---------- 73

1_5 الصوامت والصوائت عند المحدثين العرب ---------- 75

1_6 صفات ومخارج الأصوات عند المحدثين ---------- 79

1_7 الجهاز النّطقي وكيفية حدوث العملية النّطقية---------- 83

الفصل الثاني: دراسة مقارنة بين الخليل و إبراهيم أنيس

المبحث الأول/ منهجية البحث وأدواته ---------- 89

1 . التعريف المدونة ---------- 90

1_1 المدونة الأولى وصفها وخصائصها ---------- 90

1_2 المدونة الثانية وصفها وخصائصها---------- 92

1_3 أدوات العمل ---------- 94

المبحث الثاني/ 1 . دراسة مقارنة بين الخليل وإبراهيم أنيس---------- 95

1_1 تحديد مفهوم الصوت ---------- 96

1_2 المقطع الصوتي ---------- 97

1_3 صفات ومخارج الأصوات ---------- 98

1_4 الجهاز النّطقي وأعضائه ---------- 100

1_5 الأصوات وأقسامها ---------- 100

1_6 الظواهر الصوتية المتناولة ---------- 101

1_7 طريقة تناول المباحث الصوتية ---------- 106

1_8 نتائج البحث التطبيقية ---------- 107

النتائج العامة ---------- 109

الخاتمة ---------- 110

الملاحق ---------- 113

قائمة المصادر والمراجع ---------- 117

فهرس الموضوعات ---------- 121